2
1982
كتابات جديدة

مقالات في التراث الشعبي



سالم العبار

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

مقــــالات في الـتــراث الشــعبي

كتابات جديدة

2

1982

مقالات في التراث الشعبي

سالم العبار

منشورات

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الاولى

1391 و . ر . ـ 1982 م

ص
ب
959

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الإهـــــدَاء

الى روح شيخ الشهـداء عمـر المختار ، التي ارادت لهذا الشعـب ان يحيا حراً طليقـاً ، الى كل رفاقـه الابطـال ، وكل من ناضـل من أجـل الحرية ، بالـروح ، والمال والكلمـة ، الى كل المعذبـين ، والمقهـورين ، والتعساء ، والمظلومين ،

اهدي حصيلة جهدي هذا .

العبار

مقدمة

قدر بسيط جداً ، ذلك الذي وقع بين يدي من التراث الشعبي ، ولكن رغم قلته ، وجدت فيه اشارات كثيرة تستحق ان نقف عندها ، ونعطيها حقها من الدراسة والبحث .

وما وجدته في بعض الجوانب من تراثنا الشعبي الزاخر ، كان يفوق التعبير ، فقد وجدت شعباً عربياً اسلامياً حتى النخاع ، يقدس الحرية ، ويموت في سبيل الكرامة والشرف ، يؤمن بالاشتراكية والعدالة والمساواة ، لانه قاسى مرارة استبداد الطبقة البرجوازية ، عبر سنوات طويلة مضنية .

وجدت شعباً حكيماً ، خبيراً ببواطن الامور وخلفياتها .

كل ذلك وجدته في اشارات تبدو كالبرق في حيثيته ، يثيرك ويشد انتباهك ويكوّن امامك ظاهرة جديرة بالاهتمام ، لكنك لا تستطيع الامساك به ، . . ليتسنى لك تشريحه ، لان أدوات التشريح . اقصد (المراجع) والتي اعتمد بعضها على التجميع . مثل ديوان الشعر الشعبي ، الذي قادني دون ان

أدري ، للسفر بلا زاد ، ووجدتني اطرق أبواباً أخرى، تجاوزت الشعر الى ما وراء الشعر ، والأمثال ، والحكايات والعادات الشعبية ، وهذه الأنواع من المراجع اتاحت لي متسعاً للفسحة في بساتين الارهاصات الشعبية ، وقطف ثمراتها ، ومن الثمرات استطيع أن اتعرف على التربة التي كانت عاملا من عوامل النمو .

أما البعض الآخر من المراجع التي وقعت بين يدي ، فكان يركز على دراسة أشياء واضحة ومعروفة ، او بالأحرى غير مجهولة ، ولكن الهدف ، هو التعريف بها .

وعملية الجمع دائماً تسبق عملية البحث والدراسة ، ولكن كل ما جمع من تراثنا ، لا يتجاوز بعض القصائد الشعرية ، والأمثال ، اما الدراسات والبحوث ، فهي نادرة جداً ، وهذه الدراسات القليلة لم احتاجها ، بل كانت حاجتي ملحة ، لمراجع اخرى ، مثل الفلسفة ، وعلم النفس وبعض الكتابات التاريخية بهدف المقارنة والاستشهاد ، وهذا راجع الى ان الموضوعات التي شغلت ذهني في تراثنا ، كانت جديدة ، وغامضة ، وفي حاجة الى تتبع مسارها عبر محيط كبير صعب المسالك والدروب ، لعلل سابقة ذكرتها . ولكن ليس بالضرورة العودة بكل الدرر واللآلىء ، ولا حتى بعضها ،

بل يكفي مجرد التنبيه عن وجودها ، واثارة الجدل حولها ، ثم ليتطوع من له مميزات الرحالة .

ولـذلك فقـد تكون ثمـة خطـوات تاهـت ، او تراجعـت بسرعة ، دون ان تستكمل مشقة البحث ، عبر محيط زاخر ، يفضح مدى صغر حجمها ، لكنها بالطبع في داخله ، أقصد المحيط .

سالم علي العبار
بنغازى / يونيه 1979 م

من الفلسفة الاسلامية وعلم النفس

إن الإنسان بطبيعته ، حيوان مفكر، لا يمكن أن يقف موقف المتفرج على ما يحيط به وعلى ما يتعرض له ، دون ان يستخدم عقله .

وفلسفة كل انسان وثيقة الصلة بتجاربه وخبراته ، وكل تعجب اثاره عقله ، أو أي مشكلة يطرحها الفكر الانساني ويتسأل عن وجودها ومنبعها ويستكشف أسرارها وخفاياها . هي الفلسفة بعينها . فالفيلسوف لا يهدأ حتى يصل الى الإيمان العقلي بما قام البرهان على صحته ، مثل الإيمان بوجود الله أو خلود النفس ، فيتخذ من ذلك مذهباً فلسفياً معيناً . هو ثمرة تساؤلاته ودهشته ، فالدهشة كما يقول (أرسطو) هي (الأم التي أنجبت لنا الفلسفة) ، ومن هنا ننفذ الى اختصاصات الفلسفة ، والتي منها انها تنظم حياتنا وتعلمنا كيف نحيا ، وبهذا تكون هي الوسيلة الى السعادة ، حتى يستطيع الانسان التلاؤم مع غيره في عالم مليء بالمتناقضات .

ومن ميزات الفيلسوف حب الحكمة بل قيل انه هو المحب للحكمة وللسؤال الـذي هو وليد الدهشة ، وعندمـا جاء الاسلام ، برز الكثـيرون من الفلاسفـة المسلمـين من أمثـال الغزالي ، والفارابي ، وابن سينا ، وغيرهـم ، فأقاموا فلسفتهم على الأفـكار والاصـول والمبـادىء التـي جاء بهـا الاسـلام ، واتخذوا منها نقطة انطلاق لثقافة اسلامية ، وبـذلك نجـد ان مجيء الاسلام ، قد اختصر طريقاً طويلا ، فبدلاً من السؤال عن الله هل هو موجود ؟ أو عن الروح ، أصبحوا فقط يثبتون ماجاء به الإسلام ، ليثبطوا آراء المتكلمين المشككين .

اذن فلكل عصر فلاسفة ، والفيلسوف يستمد فلسفته من تجاربه وما يحيط به وما يعايشه متأثراً في ذلك بالديانة السائدة ، وثقافة عصره ومتناقضاته .

وعندما بحثنا في مقالة سابقة عن كل المؤثرات التي أثرت في الشعب الليبي ، معتمدين في ذلك على ما خلفه أجدادنـا من تراث أدبـي حضـاري زاخر ، أثبتنـا بالـدليل أن ليبيا عربية اسلامية ، استمدت حضارتها من التراث العربي الاسلامـي فاسلامية الليبي ليست بحاجة الى تأكيد أو حتى ايضاح ، فهي تكشفها حتى أحاديثه العادية ، وعاداته وتقاليده ، وما جهاده

الذي تزعمه عمر المختار الا امتداد لجهاد الشهداء الأوائل في صدر الاسلام .

وعرفنا أيضاً ان الليبي انسان صقلته التجارب ، واستفاد منها ، وعرف كيف يمنطقها معتمداً على دينه ، وعقيدته ، ومن ثم كيف يسخرها في خدمة قضاياه ، فصنع بذلك من نفسه انساناً سوياً متزناً ، وبذلك لم تمر به التجارب دون ان يسأل ويندهش ، وبذلك كان فيلسوفاً تخرج من مدرسة الحياة ، فصاغ أرق الاشعار وأعذبها ، وعرف الحكمة واستخدمها ، وقال ان (الانسان لا يهزم . . انه فقط يحطم ، لكنه لا يهزم) قبل ان ينطق بذلك همنجواى ، قال الشاعر الشعبي :

البنادم مثيل الذهب في المراود
اليلراد سيده بعد كسر ينصاغ صيغة جديدة

فقد وصف الشاعر الانسان بالمعدن ، يشكل ويصاغ تبعاً لطبيعة العصر ، وتقلباته ، شاحذاً عزيمته والتي قال عنها الشاعر :

(والعزم عادة ما يفارق فينا
حتى ان نقص ما زال عاقب منّه) .

هـذه الأبيات التـي استشهـدت بهـا ، صاغهـا الشعــراء الشعبيون ، فضمنوهـا ما استخلصـوه من تجـارب وحـكم ، فتركوا لنا فلسفتهم في الحياة منوهين بالصفات والخصال النبيلة التي يتعين على الانسان ان يتحلى بها دائما كي يواجه تقلبـات الحياة ، وسنجـد أن نفس الأفـكار التـي طرحهـا الشعــراء الشعبيون ، هي بعينها الأفكار الفلسفية التي تناولهـا فلاسفـة الاسلام العظام أمثال ابن سينا والفارابي والغزالي ، فمثلاً من الأفكار الفلسفية التي تناولهـا الفارابـي قضية (الاعتـدال) ، يقــول الفارابــي : (ان صلاح الاخــلاق لا يكون الا بالاعتدال ، وفسادهـا يكون بالتطـرف ، مثـلاً الشجاعـة اذا تـعدّت حدودها أصبحت تهورا ، واذا انعدمت صارت جبنا وكذلك السخاء .

اذن فالفضيلة عند الفارابي تتمثل في الاعتدال او الوسط ، وهذا الرأي مستمـد من تعـاليم الـدين الاسلامـي الـواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وقد اتفق رأي الفارابـي مع رأي الشاعر الشعبي القائل :

صغــر الــكلام ايولــد اكباراته
وكبــر الــكلام ايوحلـك في غنه .

اي كن وسطـا لا تهـول الامـور ، ولا تستهتـر بهــا ، بل اعتدل .

وقد تناول (الفارابي) اللذات ، وقسمها الى لذات حسية ، وعقلية ، ورأى ضرورة الابتعاد عن اللذة العاجلة التي يتبعها الم ، ونادى بضرورة تحمل الضرر والألم العاجل الذي تتبعه لذة طويلة ، وقال : (اذا تعود الانسان على ذلك ، ترك فعل الشر ، واقدم على فعل الخير ، ويوافقه الشاعر الشعبي فيما ذهب اليه ، فيقول متحدثا عن الشهوة التي هي (اللذة) التي قصدها (الفارابي) ، فيقول :

(رفع الشوف ومنوع الشهاوى
راه ملاح في حق الفتى)

أي غض البصر ، والتحكم في الشهوة التي هي لذة حاضرة ، التحكم فيها من الأشياء النبيلة المحمودة ، التي لا بد أن يتحلى بها الفتى ، وهذه كذلك تعاليم اسلامية بحتة .

ويمضي (الفارابي) الى القول بأن اللذة العاجلة لا تقهر الا بالتعود ، لان اللذات العقلية أشرف وأعمق من اللذات الحسية ، والتي تحط من قدر الانسان اذا أفرط فيها(1) ، وعن ذلك تحدث البيت السابق كما رأينا .

ومن الاشياء التي تناولها (الفارابي) ايضاً (الفضائل) والتي قسمها الى فضائل نظرية وخلقية ، فالنظرية ، هي التي

(1) مبادىء الفلسفة والأخلاق 3 : 56

عرفها معرفة الموجودات المعقودة ببراهين عقلية وطرق اقناعية ، اما الفضائل الخلقية ، فهي كما تطلب عمل الحق والخير ، وتقترن الفضائل الخلقية بالفضائل الفكرية[1] ، يقول الشاعر الشعبي :

(اللي امعاه العقل ما يتوصى
ايدير كل شيء بالقدر عالمعتادة) .

أى ان تحكيم العقل في كل الامور هو الفيصل الحاسم .

وعن اكتساب الاخلاق يقول (ابن سينا) : (ان القوة التي نفعل بها الافعال الجميلة ، هي نفسها القوة التي نفعل بها الافعال القبيحة ، وهذا يعني ان الاخلاق كلها مكتسبة ، سواء ما كان منها جميلاً أو قبيحاً ، والانسان باستطاعته أن يحصل من الفضائل والأخلاق ، ما لم يكن له من قبل[3]) .

يقول الشاعر الشعبي عن صناعة النفس :

(وكم طفل في الصيفة ادقول هلالي
ونفسه علي باب العصر ساطيها) .

(ساطيها) تعني صانعها اوموجهها الى الفعل النبيل والذي

---

(1) نفس المصدر .

يتمثل في الحد من الشهوة ، والتعود على عزة النفس ، والمعنى باختصار ان النفس النبيلة والخلق الطيب يمكن اكتسابه ، مثلما يمكن فقدانه .

ويمضي بنا (ابن سينا) في موضوع الفضائل ، فيقول : (إن اكتساب الفضائل يكون عن طريق العادة ، وكذلك ، شأن الافعال القبيحة ، والرذائل ، ولكن الانتقال من خلق الى خِلق يحتاج الى تدخل الارادة) ، وهذا بعينه ما قصده الشاعر الشعبي حين عبّر عن (العادة) (بالطبع) وعن الارادة (بالعزم) ، فعن العادة (الطبع) قال :

(هدايات ما لرب الكريم العالي
وبوطبع ما تنفع امعاه الحيلة) .

أى ان الذي لم يتخلق بالهدي الالهي ، فان طبيعته ، لن تجدى الحيلة أو التقويم الخارجي في ردها الى موطن الصواب ، الا بالارادة النابعة من النفس او (العزم) كما يقول الشاعر فيرى انه الحل ، يقول عن الارادة

(والعزم عادة ما يفارق فينا
حتى ان نقص ما زال عاقب منه) .

هكذا حضّ الشاعر على الارادة ، وأمر باتخاذها عادة فهي

عادة محببة مطلوبة ، ينبغي ان تحل محل عادة ذميمة مستهجنة مرفوضة .

والعادة كما قال بن سينا اداة اكتساب ، والاكتساب الذي يطلبه الشاعر هنا هو (العزم) والارادة ، هذه القوة التي لها مفعولها الكبير .

كذلك تناول الفيلسوف الشاعر الشعبي فضائل القوة الناطقة التي يعنيها ابن سينا بالحكمة ، والفطنة ، وجودة الحس ، واصالة الرأي ، والحزم والصدق ، والوقار وحسن العهد ، والتواضع ، وأهمها الحكمة التي هي جامعة لكل الفضائل ، التي قال عنها شاعرنا الفيلسوف :

(والصمت حكمة ما عيوب اتحفه
محال ما تأتي غرورة منّة) .

وهذا الرأي الذي وصل اليه الشاعر عن طريق التجربة ، هو بعينه ، ما جاء في المقولة التي ما معناها (الزم الصمت فانه يلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤ ونة الاعتذار) .

وقد اتفق الشاعر مع ابن سينا حين قال الأخير عن الحكمة (انها هي ادراك الأشياء التي من شأن العقل الانساني ادراكها دون خطأ أو زلل ، فتأمل قول الشاعر (الصمت حكمة ، ما

عيوب اتحفه) أي منقى من العيوب والزلل ، اذن فقد اتفق الاثنان في تحديد نتيجة الحكمة .

وعن الصمت الذي تحدث عنه الشاعر ، واعتبره حكمة ، حضرتني حكمة قالها أحد الفلاسفة ، وكان جالساً يستمع أكثر مما يتكلم ، فقيل له : لماذا تسمع أكثر مما تتكلم ؟ ، فقال الفيلسوف : (لأن الله خلق لي اذنين ولسان واحد ، معنى ذلك يريدني ان أسمع أكثر مما أتكلم) .

وقد تحدث الفيلسوف المسلم (ابن سينا) عن اصالة الرأي ، فأمر بها وامتدحها ، وعن اصالة الرأي ، وحسن التصرف ، قال الشاعر الشعبي ، محددا الكثير من الأراء الأصيلة الصائبة ، والمبنية على التجربة ، والعبرة ، واليك بعضها :

(ما لهش مانة باب ساس عدوك
ساس العدو ترعى بدأتك منّه) .

أي لا تثق في عدوك ودائماً توقع منه الشرور ، حتى وان أظهر لك الطيبة وحسن الاحترام ، لانه يخدعك .

ويقول الشاعر :

(والخايب ان كأنك خبت كيف خيابه
تبقى سواء ما فيك فارق منّه

ودك بنـادم كلمتـــه مصروبه
أينقـــي خطاهـــا قبـــل تطلـــع منّه

والأبيات التي يسوقهـا الشاعـر في هذا الموضـوع كثـيرة ، وكلها تعبّر عن اصالة الرأي ، وحسن التصرف .

هذا عن(ابن سينا) ،ولو أطلعنا على رأي الغزالي ، لوجدناه يحدد نقاطاً للتهذيب تتفق مع ما يراه شاعرنا ، فالغزالي يرى ان القـوى التـي لا بد من تهذيبهـا ، هي قوة التفـكير ، وقـوة الشهوة ، وقوة الغضب ، التي يرى الغزالي تهذيبها ، بقهر واصلاح هذه القوى حتى يحصل الحلم ، وهو كظم الغيظ ، وكف النفس عن التشفي ، وغيرها من الأفكار التي تناولها فلاسفة الاسلام ، واتفق معهم فيها شعراؤنا الشعبيون هي أفكار . . اسلامية ككظم الغيظ ومنع النفس عن التشفي ، وقهر الشهوة ، والتي يقول عنها الشعراء الشعبيون محددين نظرتهم اليها ، كما جاء بها الاسلام ، يقول الشاعر الشعبي :

(رفـع الشـوف ومنـوع الشهاوى
راه ملاح في حق الفتى

وعن كظم الغيظ ، يقول الشاعر :

(وجوه السـو وأصحـاب الدواوى
عمـرك ما تحاذيهـم بدا .

والمعنى ان أصحاب السوء والثرثرة المؤدية للعواقب السيئة ، ينبغي على العاقل ان لا يشابههم فيما فعلوه ، فتكون مثلهم ، بل أكظم غيظك ، وقابل السيئة بالحسنة . والشعر الشعبي المتفلسف ، والذي يطرح مواضيع هامة ، عديد ، وليس من السهل حصره ولكن سأكتفي بأن أورد بعض المقتطفات الشعرية الفلسفية ، والتي لم نتعرض لها بالدراسة .

(1) . . (واللي معاه العقل ما يتوصى
ايدير ما يليق ويقبلوه أصحابه)

(2) . . (والخايب ان كانك خبت كيف خـ
ـيوبه تبقى سوا ما فيك فارق منّه)

(3) . . (وجوه السو وأصحاب الدواوى
عمرك ما تحاذيهم بدا)

ان كان لك جهد عاديهم عداوى
وان ما لك جهد جافيهم جفا

(4) . . (ودك بنادم كلمته مصروبة . .
ينقي خطاها قبل تطلع منه

ينقي خطاها منها
ويحطها في البال ويضمنها

وان كان بايره مرات يســكت عـ
ـنهــا حديث ياسر تخطــره وتكنه
(5) . . (ودك بنــادم كلمتــه يوزنها
يردهــا علي عارف بهــا يتعنّى
أيردهــا علي عارف أيقيم عنـ
ـاهــا ويحطهــا في البــال ما ينساها
يهمــز مضالعهــا ويشبــح داها
ويشبــح الشي اللي شكيتــه منّه)
(6) . . (مــا لهش مانــه باب ساس
عــدوك ساس العدو ترعى بداتــك منه
(حتــى لو يفرشــلك حرير مطوى
نفســك علي باب الغــرارا تظنه
(نفســك اتهــاب فراشــه وأتم
كارهــة من جيهتــه مختاشة
(كلا الحبيب اتهــوش كيف أهو
أشــة كيف من يقــرفص في الحــديد بسنّه
(حتــى لويعضــك عضتــه ختراشه
اتصبــي وتمســح ما عقوبــه منّه)
(7) . . (ودك ليا حدثــت حدث
فاهــم يعــرف مقــاديع الخبــر كيف انّه . .

(يعــرف مقــاديع الخبــر ويقـ
ـصــه ويعــرف جلاوية ويعــرف نصه) .

(8) . . (والــرزق عنــد الله هو
اللي ايجيبــه بلا الله حتــى شي ما يمكنه

(وان كان جابــه أيد يرلـ
ـه تسبيبــه وأنــت أديرهــن لسبــاب ويجيبنه

(وأنــت أديرهــن لسباب
ويجــي بيهــن وليام ما هن دوم كيف تبيهن

(ليام كيف الخيل نحذوا
فيهــن راكبــين هلهــن شادين العنّه

(ان كانهــن بغنــك مو
بعيد عليهــن وان كان برّ من عيانهــن فاتنه

(9) . . (اللي به مرض لا سبد
ما يظهر به حتــى لوكماه ايبــان غصبا عنّه)

(10) . . (أمــا جبدهــا بالحد
يدكواهــا والا سقاهــا بطــب بريت منّه

(والا سقاهــا بشربــة ويهاونن
لمراض بعــد الضربة) .

(11) . . (ان كانهــن بغنــك مو
بعيد عليهن وان كان برمن عيانهن فاتنه) .

والأبيات الحكيمة كثيرة ، وما أوردته كان على سبيل المثال ، ولأوضح من خلاله حكمة الليبي التي اكتسبها بالتجربة والمراس ، فكان حكيماً بمعنى الكلمة ذا دراية بالامور ، وهو فوق ذلك عالم نفساني كبير مطلع على أغوار النفس البشرية قادر على التعامل معها ، ومفسر لأنفعالاتها وتصرفاتها، ومنبىء بأمراضها ، ومن هذه الأمراض النفسية ، التي تطرق اليها الأدب الشعبي (الكبت) ، ومردوداته النفسية ، فحبس النفس ومنعها من التعبير عن انفعالاتها ، له انعكاسات بالغة الخطورة ، حيث تكون العلة قد تغلغلت في وجدان النفس ، لأن النفس لم تعبر عن انفعالاتها تعبيراً خارجياً ينفس عنها .

وكثيراً ما يشعر المريض بتلك الراحة الغريبة ، بعد التعبير عن مشكلة معقدة بالبكاء ، او بالفعل أو بصورة اسقاط ، أما بدون ذلك فان العقدة تضل متغلغلة في النفس وليس لها من سبيل الى التعبير ، وقد صور لنا أحد الشعراء الشعبيين هذا الاحتباس فلمس بريشته عين الحقيقة ، وموطن العلة ، فتأمل النفس وهي حائرة لم تجد منفذاً : يقول الشاعر :

(احوال اتغصص احوال
عامة ما هناك من متخصص
لا تمتضغ في الفم لا تمصمص
. . لا تنزرط لا تبان منها صيبة

لا تدفهــا ترطـاس* لا تقصص
بــلاوين يامتغصبــة تغصيبة

جميع صور التنفيس الاخراجية ، من مضغ ومص وبلع ، وغيرها فشلت في اخراج هذه العلة المتمكنة ، ولذلك عواقبـه النفسية الوخيمة ، والتـي سيبينهـا الشاعـر في ابيات قادمـة ، أما التعبير الذي يراه الشاعر ممكنا وناجحا فهو :

(ديماشلن وسيلن نهار وليل ليش اتملن
خـير البـكا من كونـكن تنعلن ويكبـر مرضـكن كي تمـكن داكن)

هنا يطـرح الشاعـر الحـل ، محـذراً من العواقـب الوخيمـة للكبت ، والتي نتيجتها علة نفسية حادة ، ففي الأبيات السابقة وجدنا الشاعر يقف عند حدود وصف تمكن كبت الانفعال ، مغلقاً كل طرق التنفيس ، حتى يتصور السامع النتيجة دون أن يصرح بهـا الشاعـر ، وبـذلك يكســب حدة التأثير في نفس السامع .

أما في البيتين الأخيرين ، فان شاعرهما يطرح إحدى طرق

* ـ ترطاس : تلين

التنفيس او التعبير مفضلاً اياها على بقاء الانفعال حبيس النفس ساكنها ، ويكون المرض بذلك أخطر داءا ، وأسوأ نتيجة ، ولكن العقدة عادة لا تأتي الا بعد تعذر مشكلة غاب حلها وجهلت مسالكها ، فتشابكت خيوطها وشكلت دوامة عاصفة تعصف بالنفس ، وفي عدم معرفة المشكلة تكمن شدة الحزن ، يقول الشاعر :

أحوال ايغمن أحوال العقول العامرات ايسمن

وقوله :

(أحوال جورن في الغيب ما ينساسن . .
أحوال جرحهن ما ينعرف تطبيبه) .

انظر كيف يصور الشاعر العقدة في قمتها ، وقد بدأ بمحاولة علاجها أولاً باستخدام العقل وتغليبه على العاطفة ، واستخدام سياسته في قهر حدة الانفعال ، ولكنه يقرر فشل هذا الحل فيرى في العقدة النفسية على انها سم يسمم العقل ، فتبعده عن صوابه واتزانه وبذلك تصدر عنه أفعال انفعالية غير صائبة حتماً ، كالاسقاط مثلاً ، او التعبير عن طريق . . البكاء ، وهو ما يلجأ اليه الانسان أخيراً بعد احساسه بخيبة الأمل الذريعة ،

وهـو في حد ذاتـه قمـة التعبـير عن ضياع العقـل ، وغلبـة العاطفة .

(أحوال جرحهن ما ينعرف تطبيبة)

ان كافة أدوات التعبير التي تحدثنا عنها تدل دلالة قاطعة على غياب العلاج الحقيقي عن المريض نفسياً هنا ، كمريض البدن الـذي جهـل علاجـه ، فاستخـدم كافـة أنـواع العـلاج دون تحديد ، فصار يخبط عشوائياً ، أملا أن يجد العلاج ، وان كان مريض البدن نتيجته المستقبلية السيئة هي الموت ، فهي نتيجة مستقبلية لا يعايشها الأن ، على عكس المريض نفسياً ، الذي يعيش نتيجته باستمرار، ويقاسي ويلاتها ، وربمـا اشتـرك مع مريض البدن في نفس النتيجة المستقبلية المنتظرة وهـي الموت ، بالاضافة الى الصفة الانفرادية الملازمة للمريض نفسياً ، وهي معايشة الداء ومعاناته المستمرة ، والتي تؤدي الى المرض البدني وهذا ما قصده الشاعر بقوله :

(أحوال أيعلن أحوال واحلات أحوال ما ينحلن

اللي أيقول فاتني عليه ايولن ، أيجدن عليه بشيء مودار بيه)

أي ان العلة كلما استبشر الانسان بزوالها أو مجاوزتها له ، لا يلبث ان تعود اليه من جديد ، وربما متمثلة في مشكلة اخرى لـم يكن يعلمها ، او يحسب لهـا حسابهـا ، وبـذلك نجـد أن

المرض النفسي ملازم للنفس البشرية ، ويهددها باستمرار . ومن العقد النفسية المفاجئة والتي لم يحسب لها حساباً ، كما قال الشاعر ، هي ظلم الأحبة ، وما لذلك من أثر كبير على النفس ، يقول الشاعر :

(ان كان هو جفاك اللي أحذاك أقريب . .

أو هو حبيب يا صاحب المن تشكيبه) .

وهنا يحضرني البيت الذي سبق الاستشهاد به مراراً ، والقائل :

(ما لهش مانه باب ساس عدوك

ساس العدو ترعى بداتك منّه) .

وهنا يعبّر الشاعر عن رأي أصيل وجيه ، يحمل الحذر والتوقع ، طالباً الاحتراس من العدو ، لأن كل المعوقات والمصائب ، سوف تأتي عن طريق هذا العدو ، أما الصديق او الحبيب فأنت لا تتوقع منه ذلك ، ولكن عندما يحدث العكس وتأتي فداحة مصابك عن طريق حبيب لك ، هناك تكون الطامة الكبرى ، ويكون الجرح بليغاً ، لأنه جاء من طرف أنت لم تكن تتوقع منه ذلك ، وكأنك انت المخطىء في حق نفسك .

وقد حدث ذلك مع أجدادنا كثيراً ، ولذلك وصلتنا

تعابيرهـم التـي غاصـت في قرار النفس وجرّبت الكثـير من الويلات والتعامـلات ، ولـذلك حذروا من الـذين يظهـرون خلاف ما يبطنون ، حين قال أحد الشعراء :

وجـــوه بيض من بره أو جوّهْ نيلة) .

وقديمـاً كان أجدادنـا يعالجـون الصدمـة ، التـي يسمونهـا (الفجعة) ، وقديماً قالوا : (ما يحول الفجعة الا الفجعة) ، فكانوا يرشون (المفجوع) بالماء على حين غفلة منه كما انهـم يفهمون كلام العيون وما تنطق او توحي به ، ويتخذون منها ميزاناً للحكم فقد قالـوا قديمـاً : (عينـك ميزانـك) ، وهـذا التعبير تنطوي وراءه معاني التقدير ووزن الامـور ، قبـل اتخاذ القرار ، أو هي ما يسمى بالفراسة ، وقد كانوا يتخذون من العيون وخلجاتها واضطرابهـا، ومـا تعكسـه على الجسـد بكامله من ارتعاشات ، ولذلك قالوا : (العين اللي ما تقابلش كذابة) .

فالعين يرون فيها الحقيقـة ، واداة لكشف اسرار النفس ، وكثيراً ما عبّروا عن الشخص العديم الخجل ، والذي يفعـل الخطأ دون أن يضطرب ، او يستحي بقولهم (عينه قوية) .

ويتسألون في تعجب ، هل باستطاعة الواشي او الكاذب ، أن يواجه دون أن يضطرب بقولهم (فيك عين ؟؟) ، أي هل تستطيع المواجهة ؟

والعين اداة تعبير لا تكذب ابداً ، تفضح العاشقين والكاذبين ، والوشاة ، بما تنطق به من حقائق مكبوته ، ولكن بلغة لا يفهمها إلا ذوي الاختصاص ، وأصحاب الفراسة .

وعن طريق العين أتخذ أجدادنا قرائن الإدانة ، التي تدين المتهم .

وهذا إن دل على شيء فانما يدل على درايتهم بامور ذات حساسية بالغة وتعتمد على تفسير علمي ، وصلوا اليه عن طريق التجربة والمراس .

اننا حقاً لأصحاب حضارة وتاريخ حافل بشتى البطولات .

التفسير الشعبي للأحلام

كان للفقيه ، أو الشيخ ، أو ما يطلق عليه بالتعبير الشعبي (حامل كتاب الله) كان له الأثر الكبير في المعتقدات ، والعادات الشعبية ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

مباشرة هي تلك المتمثلة في توجيهاته وفتاويه التي يستقيها من الكتب الدينية مهما كان نوعها ، وعليها يعتمد في تلقين العامة من الشعب ، الذين يحيطون الشيخ بهالة من الاحترام ، قد لا يكون يستحقها ، حيث ان لقب الفقيه هذا تخفى وراءه الكثيرون من المشعوذين ، الذين هم كذلك أعطاهم المجتمع أكثر مما يستحقون ، فأدى ذلك بطريقة غير مباشرة الى الاعتقاد في شفاء المرضى ، ودفع الشر ، وغير ذلك من القدرات الخارقة ، التي يفعلها المرابط ، حتى وان لم يكن حياً ، ولو لم يكن في معاملاته رجلاً تقياً ، لكنه اكتسب هذا التمجيد ، لان جده ينحدر من سلالة تقية ، فورث عنه الولاية ، مما أدى الى الاعتقاد في الأولياء بطريقة منافية للعقل والحقيقة ، فكثيراً ما نجد (المرابط) رجلاً طماعا مستغلاً لطيبة

المجتمع . . فيبيعهم بركته اللاملموسة ، ويفعل افعالاً بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام الحنيفة ، ورغم ذلك فهم لا يرفضون له طلباً ، حتى وان كان طلبه جائرا او فوق حدود المعقول ، وذلك خوفاً من دعواته عليهم بالشر .

وقد مهّد هذه الاعتقادات ، او بالأحرى فسح المجال للشيوخ او الفقهاء ، وما جرفته هذه التسميات في تيارها من مشعوذين ودجالين ، فسح المجال أمامهم المسحة الدينية التي تأخذ الدين بما علق به من شوائب .

وهذا بالطبع لا يعيب مجتمعنا ، بل يؤكد على قوة ايمانه ، وطيبته ، وحبه لدينه هذا الحب الذي يصل الى درجة السذاجة .

والشيوخ كانوا هم السبب المباشر في توصيل الكثير من العادات ، والثقافة العربية الاسلامية ، فكان ان تطابقت الثقافة والمعتقدات الشعبية الليبية بعادات ، وثقافات الشعب العربي الاسلامي عامة ، نظراً لأن هذه الثقافة تتبع من مصدر واحد ، فأدى ذلك بطبيعة الأمر الى توحد الأحكام . مثلاً . . عند تفسير الأحلام يلجأ الناس الى الشيخ او الفقيه ليفسر لهم أحلامهم ، وما تنبىء عنه ، معتمداً على ما بين يديه من مصادر .

* بعض التفسيرات الشعبية للأحلام

وهـذه التفسـيرات اعتمـدت على ما يدلي به المشائـخ من تفسيرات للحلم ، اعتماداً على ما قرأوه في كتب التفاسير ، وهو المنهج الذي يسميه (فرويد) منهـج (الشفـرة) لأنـه يعالـج الحلم كما لوكان ضرباً من كتابة سرية ، يمكن ترجمة كل علامة من علاماته الى علامة اخرى معروفة المعنى وفق مفتاح ثابت ، مثال ذلك انني أحلـم بخطاب ، ثم بجنازة ، فاستشير كتـاب الأحلام ، فأجد الخطاب يترجم الى (نكد) و (الجنازة) الى (خطبـة) ، ويبقـى علي بعـد ذلك ان أنشيء من هذه المقومات التي قمت بفك مغلقها على هذا النحو جملة مفيدة ، أنقلها من جديد الى الزمن المستقبل[1] .

وكثير من الأشياء في هذه التفاسير ، تأخذ صفاتها المعاكسة لمعناها في الواقـع وتستمـد تفسيرهـا في الحلم من وظيفتهـا في اليقظة ، كمثال على ذلك (الابل) والتي تعرفنا على مدى ارتباط الليبيين الكبير بها ، نظراً لدورها الكبـير في حياتهـم ، وكلما ذَكرت الابل ، ذكر معهـا التضـحيات في سبيلهـا ، حتـى أنها أصبحت والمصائب صنوان ، وقد رأينا كيف عبّر شاعر شعبي عن ذلك بقوله :

---

(1) تفسير الاحلام تأليف سيغموند فرويد ترجمة مصطفى رضوان

وهــذى اسماهــا عالبــلا سموها
غــير اسمهــا بالجــزم جا خاطيها

فقد مزج الشاعر بين البلاء ، والابـل ، نظـراً لأن البـلاء (يقصد الحرب والموت . . والدمار) اقترن باسم الابل ، فهو الذي يسلبها ، وهو الذي يردها .

والابل على الحقيقة ، وظيفتها في اليقظة ، شيء محبب الى النفوس ، منها يأتي الخير والرفاهية ، فهـي العمـود الفقـري لحياة الليبي ومعيشته حتى عهـد قريب . ولـكن لها وجه أخر رمزي تحدثنا عنـه ، يطلـق عليهـا في حالـة اليقظـة على سبيل المبالغة ، ولكنه يبرز تفسيراً لرؤ يتها في الحلم ، وهذا راجع الى انهم يترجمون الحلم كما لو كان ضربا من كتابة سرية ، فمثلاً ، اذا رأيت الابل في الحلم ، فيعني ذلك انك ستتعرض لكرب وبلاء ، ومصائب شتى .

وكثيراً ما نجد التفسير الشعبي للأحلام يعمد الى العـكس تماماً ، فما تراه في الحلم تفسيره يعاكس تماماً لوظيفته ، أو صفته في اليقظة .

ومن التفسيرات الشعبية الشائعة :

(1) : اذا رأى النائم ولداً فانه سيرى كربا ، واذا رأى بنتاً ، فانه سيرى خيراً وهناءاً وهذا معاكس بالطبع لما في الحقيقـة ،

فقد عرفنا في الموضوع السابق (من سدينة الى أمل) عرفنا نظرة المجتمع الليبي القديم للمرأة .

(2) : من رأى في المنام انه يبكي ، فانه سيضحك في الدنيا ، ومن رأى انه مسرور ، فسيحزن .

(3) من رأى في المنام أن يده قد بترت ، أو أي عضو آخر من أعضائه ، فان التفسير الشعبي لذلك يقول (ان أحد اخوة الرأي سيموت) .

(4) : علو الشأن في المنام ، يفسر بانحطاط الشأن في الحياة .

ومثل هذه التفسيرات كثير ، وتعتمد على منهج واحد ، لأن مصدرها كان واحداً منبعه الكتب التي يعتمد عليها المشائخ عند التفسير ، ثم استعملها عامة الناس بالقياس عليها .

وللشعب الليبي تراث عربي صميم ، تعرضنا له في موضوعات من هذا الكتاب ونضيف اليه في هذا الموضوع تفسير الأحلام ، التي وصلت الينا هي الأخرى من كتب التراث العربي الاسلامي .

وفي كتاب (تعطير الأنام في تعبير المنام) ، والمُؤَلَفْ سنة 1906 [1] .

---

(1) الانام في تعبير المنام / للشيخ عبد الغني النابلسي

نجد التفسيرات الآتية :

(1) عضو الانسان في المنام يعبر بالأهل ، فمن قطعت أعضاؤه فارق أهله أو قاطعهم ، والأعضاء ولده ونسله .

(2) اذا رأت المرأة انها ولدت ولداً ، فانها ستلد بنتاً ، والعكس صحيح ، والبنت فرح في التاويل ، والولد هم .

(3) من رأى انه ينوح على ميت ، أو على شيء ، ويحزن حزناً شديداً ، دل ذلك على فرح وسرور .

(4) علو الشأن في المنام يدل على انحطاط القدر ، قال بعض العارفين . . (حب العلو على الناس سبب الانتكاس)[1]

(5) العرس : اذا كان في المنام بقينات وعازف ، فانه يموت شخص بذلك المكان الذي فيه العرس ، ومن رأي انه يُعَرسْ ، وما رأى العروس ولا وصفت له ، ولا سميت ، فانه يموت[2] .

(6) العز هو في المنام ذل ، فمن رأى إنه عزيز ذل[3]

وهذه التفسيرات هي بعينها التفسيرات الشعبية الليبية

(1) ص : 307 ، 335 من نفس المصدر
(2) نفس المصدر السابق ؛ ص97 / باب العين
(3) نفس المصدر والباب ص : 99

للأحلام ومما يعتبر تدعياً لما سبق قوله ، ان هذه التفسيرات وصلت الينا من المشائخ الذين اعتمدوا على كتب التفاسير في التراث العربي الاسلامي ، نجد الصبغة الدينية فيها ، فقد استشهد الشيخ النابلسي صاحب كتاب (تعطير الأنام في تعبير المنام) استشهد ببعض الأقوال ، والأحاديث ، وبآيات من القرآن عند تفسيره للأحلام ، ومن التفسيرات التي حاول المؤلف ، كما فعل غيره من مفسري عصره ، قوله في تفسير العظم في المنام (العظم يدل على الكسوة لمن رأه ، واستشهد بقول الله تعالى : (ثم كسونا العظام لحما) ، وقال : ان العظام تدل على عظائم الامور .

وعن العمى يقول (هو في المنام ضلالة في الدين ، وهو أيضاً ميراث كبير من عصبته ، والعمى ايضاً غني ، فمن رأى انه أعمى استغنى ، ومن رأى انه أعمى أيضاً ، فانه نسي القرآن ، وان رأى كافراً انساناً أعماه ، فانه يزيله عن رايه ، ويقول الشيخ النابلسي في تفسير علو الشأن (علو الشان في المنام يدل على انحطاط في القدر واستشهد بمقولة العارفين القائلة : (حب العلو على الناس يسبب الانتكاس)

ومن تفسيراته التي يبنيها على القرآن ، قوله عن الفقر (الفقر هو في المنام تمني ، فمن رأى انه فقير نال طعاماً ، لقوله تعالى (رب اني لما انزلت الي من خير فقير) .

هذه هي التفسيرات التي وصلتنا ، وهذا هو السبب الذي يدفع بعامة الناس للجوء الى المشائخ ، أو الفقهاء والعارفين ، ليفسروا لهم أحلامهم ، والسبب انهم يرون في الحلم حكمة الهية ، وانه نبوءة صادقة بالمستقبل ، متأثرين بما ورد في القرآن من قصص أحلام الأنبياء ، ولذلك رأو ان لهذا اتصال كبير . . بالدين مما جعل تفسيراتهم تأخذ طابع الرمزية .

وعن التفسير الرمزي للأحلام ، يقول (فرويد) التفسير الرمزي للأحلام ، . . هو منهج لا يلبث ان يتضح بالضرورة عجزه ، حين يواجه أحلاماً تتسم بالتشوش فوق لا معقوليتها ، وقد يكون في التفسير الذي تذكره التوراة عن يوسف لحلم فرعون مثال على ذلك المنهج ، فان يرى فرعون سبع بقرات سمان تأكلها سبع عجاف ، تأتي من بعدها ، ذلك كان بديلاً رمزياً لنبوءة تنبي بسبع سنين من المجاعة في أرض مصر ، تأكل فائض السنوات السبع وافرة الغلة[1] .

وفي تفسيراتنا الشعبية ، أصبح التفسير يؤخذ على هذا القياس ، الشيء وعكسه وفك الرموز ، والأشياء نجدها تتغير وظيفتها بتغير العصر ، فلا يمكن أن تكون رؤ ية الابل في المنام في عصرنا الحاضر دليلاً على الكرب والشدة ، فقد تغيرت نظرة

(1) تفسير الاحلام : ص127 تأليف سيغموند فرويد / ترجمة مصطفى رضوان

المجتمع الليبي الجديد لها ، بعد أن تغير وضعه الاقتصادي .

وغيرها كثير من الأشياء التي تغيرت وظيفتها بتبدل طبيعة العصر .

والأحلام لم تزل محل نقاش وتحاليل ، من جانب علماء النفس ، يقول (فرويد) عن الحلم (الحلم نزح لأفكار خنقت في المهد ، ولو أن انساناً سلب القدرة على الحلم ، لأنتهى به الأمر الى الخلل العقلي ، اذ سوف يزدحم في ذهنه عدد يفوق الحصر من الخواطر الناقصة المعلقة ، ومن الانطباعات السطحية بحيث تختنق تحت ثقل هذه الخواطر والانطباعات تلك الأفكار التي يجب ان تمكث في الذاكرة في صورة كل مكتمل ، فالحلم يعمل عمل صمام الامان بالنسبة للذهن المثقل ، وان الأحلام لتملك قدرة مطبية مخففة(1) .

ونحن في تفسيراتنا الشعبية للأحلام ، استمدينا طريقة التفسير مما وصلنا من الثقافة العربية الاسلامية ، وهكذا نجد انه كلما تعمقنا ، وحاولنا البحث والاستقصاء في تراثنا الشعبي الهائل من عادات وتقاليد وثقافة ، وجدنا الأدلة الدامغة على روعة ثقافة هذا الشعب المستمدة من التراث العربي الاسلامي .

---

(1) سيغموند فرويد / تفسير الاحلام

الرأسمالية اجهاض للوحدة

إن الحـرية ، والإشتـراكية ، والوحـدة شعـارات لم تأتِ من فراغ ، لأنها هي الركائز الأساسية التـي تقـوم عليهـا السلطة الشعبية .

وهذه الشعارات طالب بها شعبنـا وناضـل من أجلهـا منـذ سنـوات بعيدة ، فالشعـب الليبـي المسلم الـذي قاوم الغـزو الصليبي الايطالي ، لـم يكن في الأصل مدافعاً عن شيء آخـر غير الدفاع عن الدين الاسلامي بمبادئه وعقائـده السمحـاء ، لان الدفاع عن الاسلام في حد ذاته ، هو دفاع من أجل ان تبقى الحرية والتي لا تكون الا بالوحدة ومن ثم الاشتراكية التي هي الحرية ، وهي الوحدة في آنٍ واحد ، ولذلك كان الدفاع من أجل هذه الشعارات التي جاءت مع الاسلام ، وعرفناها به .

وفي الدراسة السابقة عن (نضال القصائـد الشـعبية إبّـان الغزو الصليبي) أوردت ما جاء على لسان شعرائنا الشعبيين ، والذين استنتجنا من قصائدهـم ، انـه نتيجـة لغياب الوحـدة

افتقدنـا الحـرية ، والاشتـراكية التـي لم يأت فقدانهـا وليد مصادفة ، بل نتيجة طبيعية لفقداننـا للحـرية التـي افتقدناهـا بافتقادنا للوحدة .

ومـا قالـه الشعـراء الشـعبيون في المطالبـة بالوحـدة ، قول الشاعر (حسين لحلافي)

وتعمـــر السكـة والغروب ومكة
لا عد شبـــردق لا هنـــاك حدود

هذا البيت من قصيدة جاءت على لسان الشاعر أثناء هجرته الى مصر إبان الغزو الصليبي ، لقد أيقن هذا الشاعر الذي لم يتلقّ تعليماً غير القرآن ، ان غياب الوحدة كانت نتيجته ضياع الحرية التي تشمل الاشتراكية .

والشعارات الثلاث هي في الأصل كلمة وحدة تعني القوة ، فالوحدة قوة ، والاشتراكية تؤدي الى الوحدة والى الحرية والى قوة الاقتصاد ، اذن فهي قوة ، والحرية قوة فليس المستعبد الا الضعيف ، ونظراً لهذا التمازج ، فلا أحـد يستـطيع أن يخفـي واحدة ، ويظهر الأخرى ، لأن هذه الشعارات كلمة واحـدة غير قابلة للتجزئه فأما أن تكون مع بعضها ، أو لا تكون .

ونظراً لذلك كله ، فقد طالب شعبنا بهذه الشعـارات منـذ

أمدٍ بعيد ، فهذا الشاعر الشعبي (حسين الحلافي) يعرض نموذجاً من نماذج الاستغلال السائدة انذاك ، فيقول :

واحـــد خواجـة زايطــين عياله
واحـــد عيالــه يشحتــوا هبود
واحـــد ايمــول كاثــرات ايباله
واحـــد تعــوز ما حذاه قعـود(*)
واحـــد عطــاه الله حكم وداله
واحـــد مسلســل في صغـا وقيود
واحـــد مع لصحــاب فاضي باله
واحـــد يخمــم في تعــب ونكود

هذه صورة واضحة لاحدى صور الاستغلال التي تعاقبت على شعبنا ، وقد عايش الشاعر هذه المحنة إبان وجود المحتل الايطالي لبلادنا ، حيث تمتع المتعاونون مع الايطـاليين بميزات ارتفعت بهم عن بقية الذين رفضوا الاحتـلال في حين ملـكت الفئة العميلة الأراضي والمزارع والابل .

ولعـل كلمـة (مسلســل) التـي وردت في البيت الثالـث ـ الشطرة الثانية ـ كلمة قوية معبرة ، تعني أن الشاعر يتسلسل في الفاقة والقيد ببطء ، ودرجة بدرجـة ، انـه الموت البطـيء من حكومة لاخرى يتعاقب الفقر .

لقد وضع الشاعر أمامنا شريحتين لزمن واحد الفروق بينها واضحة :

وضع الشخص الأول	وضع الشخص الثاني
خواجة زايطين عياله	يشحتوا هبود
أيمول كاثرات ايباله	تعوز ما حذاه قعود(*)
عطاه الله حكم ودالة	مسلسل في صغا وقيود
مع لصحاب فاضي باله	يخمم في تعب ونكود

هذا ما بينه شاعر عاصر الاحتلال الايطالي ، فماذا عما قبل هذه الفترة . إن شيئاً من ذلك لم يتغير ، فالحال هي الحال ، فها هو الشاعر (محمد قنانة) الذي عاش في زمن يوسف باشا القره مانلي ، يقول :

ان كان الغني ما لعبد يغلق حوشة
الا باب ربي ما عليه مكاده
اللي قوي يأخذ خيار الحصة
واللي ضعيف من فقره عليه حماده
واللي معاه العرف ما يتوصى
ايدير كل شيء بالقدر عالمعتاده

* قعود : صغير الابل

ما معنى (اللي قوي يأخذ خيار الحصة ؟)

أي الشخص القوي الـذي هو من أفـراد الطبقـة الحاكمـة المترفة ، هو وحده الحر في ان يأخذ ما يطيب له ، اذن فالحرية قوة وهي ممتزجة بالاشتراكية ، وبدون الوحدة لا تكون ، وهذا ما سبق ان أوردته .

(واللي معـــاه العـــرف ما يتوصى
أيدير كل شيء بالقدر عالمعتادة .)

أي ان كل شيء يعقـل ، لا يخـالف القاعـدة ولا الحـــق ، فالمساواة شيء عقلي بحت ومعتاد وليس شاذاً ، والمعنى ان ما تعقله أفعله ، فهو الصواب ، قد جاء هذا البيت بعـد البيت القائل :

(اللي قوي يأخـــذ خيار الحصة
واللي ضعيف من فقره عليه حماده)

وبذلك تكون الدلالة في مكانها الصحيح .

ومن هنا نرى ان الإذلال ، اما أن يكون بالسلاح أو المال ، والسلاح شيء واضح بيِّن اذلاله للانسان ، يمارس به الاذلال الاقتصادي ، وبذلك يكون الجو ملائماً لنمو الرأسمالية ، والتي يترتب على هيمنتها انقسام الشعب الى فئتين متضادتين ، طبقة

مترفة ، واخرى مسحوقة ، ومن هنا جاءت التجزئة للشعب الواحد في الوطن الواحد ، فانتفت الوحدة لأنتفاء الاشتراكية والحرية .

وقد فطن الاسلام الى ذلك حين قال (خذ من أموالهم صدقة ، تطهرهم ، وتزكيهم بها) فبهذه الصدقة تنتفي الكراهية بين الغني والفقير .

أذن فالرأسمالية أجهاض للوحدة .

انه لمن الواضح من هو المسموع صوته المأخوذ برأيه ، انه من يملك الجواري والسلطة ، والمال ، يقول الشاعر (محمد قنانة) :

لا يصيد يكسب لا جمل لا خادم
ويبدا حديثه شين بين انداده

يقصد (الفقير) وانداده من هم في مستواه ، ولا يختلفون عنه الا في انهم من ذوي المال والسلطة ، (انظر الى تجزئة الشيء الواحد ذو المستوى الواحد) . وفي قول الشاعر (لا يصيد يكسب لا جمل لا خادم) يعني ان الفقير لا يستطيع أن يحصل على الابل والخدم والمال ، ليجاري الطبقة البرجوازية ، لأنه يرى ان هذا هو الحل ، ليتساوى الناس جميعاً ، فليس أمامه حل غير هذا ، أما المطالبة بالمساواة عن طريق الاشتراكية ، فلا يستطيع المطالبة بها ، لأنه . . معدوم الحرية .

ويقول الشاعر :

كثير الدراهم كان جاهم زادم
يقولوا حديثه زين فعله قاده
بالمال حتى الخايب
ايجوا معاه جملتهم شباب وشايب
وأما قليل المال قالوا سايب
يمشي ايكر الفحم للحدادة

ومن هذه الأبيات نستكشف أن حرية الكلمة كانت محصورة على ذوي المال والسلطة ، وعلى أثر هذا الوضع المتعفن ، كانت ثمة محاولات . . . لترك الوطن ، نظراً للحكم الدكتاتوري السائد ، والمتحكم في مصائر هذا الشعب .

يقول نفس الشاعر :

تركناه ترك الفكرة
وترك العشية والضحى والبكرة
كم طير جلاه الجـ
ـفا من وكره والقل هو عيب الرجال نظنه

ويقول الشاعر عبد المطلب الجماعي :

لا نيش صاحب سو لاني جافي
مالقل هانونا لعزاز وهنا

مالقـل هانونـا العـزاز علينا
والصاحب الياشبحك يواطي عينه .

هذا عندما أحس الليبيون ، بأنهم غربـاء في وطنهـم بعـد تسلط القهر والقوة والبرجوازية المستغلة .

ولا يعني ذلك انهم قد كرهوا الوطن ، ولكنهـم كرهـوا ما يجري بداخله يقول (محمد قنانة) :

تركنـاه ترك البابن
أحنـا وطنـا ما هو علينـا هاين
علـة محـاريث الجهال دفاين
والفقـر هو بخس الرجـال نظنه
تركنـاه للهمازة
تركنـاه وطـن المرمـدة والعازة

ولـم يترك الشاعر وطنه بل بقي فيه الى أن وافته المنية فدفن به ، ولـم يكن ما قاله الا تعبيرا عن حالة انتابته ، سببها الفاقة التي نتجت عن عدم المساواة ، وقـد صحـى الشاعـر ولامس الصواب وأبـدى الـرأي بشجاعـة عندمـا حرض الشعـب على التقشف والزهد ، بقوله :

خليه صوتـك يرتفـع بشجاعة
واتبـع عبـاد الصلـح والزهادة .

وبعد . .

فتلك أبيات للشاعرين (محمد قنانة) و (عبد المطلب الجماعي) ، وقد عاش الأول وتوفي في زمن يوسف باشا القره مانلي ، أما الثاني فقد عاصر الاحتلال . . الصليبي الايطالي ، ومنذ تعاقب تلك الحكومات ، والشعب الليبي يبحث عن اليوم الذي يتحرر فيه ويصبح لا سلطة لرئيس عليه ، يقول الشاعر عمر بوعوينة :

ان كان من جناب الحكم بابك سكر
حب الرياسة عالعبادة مصيبة

وكانت التضحيات المعروفة إبان الاحتلال الصليبي لليبيا في سبيل هذه الشعارات حتى كان الاستقلال المزيف عام1951 م دون أن يتحقق للشعب ما يريد = : يقول الشاعر جعفر الحبوني :

ايام قبل ما نحبوا الا الحرية
معيشة عدالة للعرب جملية
نحسبوا معناها
منصوب عالعدالة والرخا مبناها
بعنا عزيز الروح في سباها
واحنا نجاهدوا بالمال والذرية

ارقــود العقلية نايمــين فداهـا
وامــوات البريقــة يشهــدوا جملية
لكن اللي جانــا امغــيرا اسياها
مكسبهــا الواحــد في عداد المية

هنا يوضح الشاعر ان الحرية كانت من صنع الشعب الـذي ضحى في سبيلها بكل ما يملك ، لكنها سرقت منه وترتب على ذلك سرقـة الاقتصـاد الـذي اصيب بالشـلل لتحـكم الطبقــة الحاكمة فيه ، وبهذا نرى ان المطالبة بالاشتراكية تعني المطالبة بالحرية والعكس صحيح .

ونظرا لانعدام الحـرية فقـد انعدمـت الاشتـراكية ، فكيف انعدمت الحرية ؟ يقول جعفر الحبوني :

جدت سيرة امعاها أيخمم كل صاحب غيره
البــرلمان وافق داخ في تفكيره
اللي فيه ثيقة ليبيا الفتية
حطــوا الوطن في قبضــة مخالــب طيره
يمــوت صيدها ساكن ومــا له زيه

لقد ظن الشعب ان الحكومة ستنصف له ، لان البرلمان كما يقال عنه مؤلف من أفراد الشعب ، ولكن العكس هو الـذي حدث ، فلقد كان كل افراده من الطبقة المستغلة المستفيدة من بقاء العرش ، والذين شلوا الاقتصاد :

اربـاب الحكومـة في قصــور عوالي
اوكالهــم دجــاج ويلبســوا افندية
اقعــود الــكراسي حالهــم علالي
والهــم معــاش مالدولــة الوطنية
ما يوم سالــوا كيف حال لاهالي
ولا يدروا باحــوال الرعية
اللي اليوم تمــت في المعــاش التالي
الــدايم الله الوطــن واهاليه
في أي المذاهــب هالشي حلالي
وين العدالــة وين لسلامية

واضح من الأبيات سخرية الشاعر من الحكومة الملكية ، وفي الأبيات أيضاً دعوة الى العودة لمساواة الإسلام ، لأنـه هو دين التحرر والعدل والمساواة ، ولا يفوته ان يقول ان الدوام لله ولأبنـاء الشعـب المسحوقـين ، أي ان نهـاية الحكومـة لا ريب فيها .

ثم يتسأل الشاعر قائلاً :

وين ثروة البتــرول يا سمسارة
اللي عالجــرايد نسمعــوا باخباره
وين ما ريناهــا امغــير عالجـ
ـرايد نسمعــوا بنباها

في سويسرا شيدا عمار بناها
بــن حليم والكعبــار لعبــوا فيها
او حيل البنــا اللي هم في الـ
ـوزارة والصيد في الخزينة ما ترك لا باره

بطــاطيح وزراعــات كون بيها
وحــوت البحــر في فيلتــه يجاره
والشعــب واعــي راه موناسيـ
ـها أموالـه اللي راحـن عليه خسارة

وكما كان الحل الذي طرحه الشاعر (محمد قنانه) في بيتـه القائل :

خليه صوتــك يرتفــع بشجاعة
واتبــع عبــاد الصلــح والزهادة

كان هو عين الحل الذي طرحه جعفر الحبوني الذي تعرض للإعتقال والسجن ولكنـه بقـي على نفس المبـدأ ، وأوصى هو كذلك وصية (محمد قنانة) فقال :

ينهض شبــاب الوطــن ويصفيها
من كمشة لصوص نفوسهم منهارة
صغــار الوظــايف حقهــا يعطيها
والعامــل الليبــي يرتضي باجاره

وتـكون العدالـة كل حد طاريها
ويبان ضيها عالشعب ما يتوارى .

لقد كان أكبر ما يطمح فيه الشاعر ، هو أن يحصل العامل على أجره غير منقوص ، فلم يكن الشاعر يحلم بأن يصبح العمال منتجين ، وهذا شيء طبيعي . وأخيراً كانت الثورة وكانت الصيحة المتمثلة في الحرية والاشتراكية والوحدة ، وكان للثورة شعراؤ ها المحدثون ، ولكن القصيدة الشعبية أصيبت في الفترة الحالية بتخلخل البناء ، وطغت عليها السطحية والمباشرة ، كما افتقرت الى البلاغة وعمق التصوير ، وأصبح الكثير منها مجرد رصف لكلمات مكسورة الوزن مقحمة القافية ، ولعل هذا واضح في بعض الأبيات التي استشهدت بها من قصائد الشاعر جعفر الحبوني ، ولكن الحبوني كان يحمل دائماً في قصائده . . . . المضمون الهادف العميق .

أثر بني هلال في الشعب الليبي

تأثر واضح واعجاب شديد نجده ضارباً أطنابه ببني هلال في نفوس عامة الشعب الليبي ، ووصل هذا الاعجاب الى انهم اتخذوا من أقوالهم حكمة ، وامتدحوا اخلاقياتهم وشهامتهم وشجاعتهم حتى انهم هولوا فيها فلعب فيها الخيال وتضاربت الروايات الشعبية حولهم ، بل ونسبوا كل الاشعار الشعبية المجهولة قائِلها الى بني هلال خاصة إذا ما كان هذا الشعر يحمل الحكمة والشجاعة والاخلاق ، وأحياناً يروون قصة بني هلال نظما وينسبون القول الى أبي زيد الهلالي والذي انفردت شخصيته باهتمام الليبي دون رفاقه .

وكما نسبوا القصائد الى بني هلال كذلك فعلوا مع الأساطير الشعبية الخيالية ، مثلما نسبوا طرائفهم الى (جحا) .

وعندما نستمع الى ليبي يتحدث عن أبي زيد الهلالي ، نحس وكأن زيداً هذا نسج خيالي ، فهو اسطورة زمانه ، وتجد أن كل المستحيلات او الصفات المحببة الى الليبي تحتويها

شخصية أبي زيد ، ويبدو انهم نسبوا صفات الانسان المثالي الى أبي زيد ورغبوا في الاقتداء به ، ففي أحاديثهم يقولون (فلان هلالي) أي انه انسان مثالي ، عن أبي زيد أيضاً تقول أشعارهم :

وكم وغد صيته ادقول صيت هلالي
عاش في صغا مطراه كي مطراكن

ويقول شاعر آخر :

وهل طفل في الصيفة ادقول هلالي
ونفسه علي باب العصر ساطيها

وقد استفحل تأثير الهلاليين في عامة الشعب الليبي حتى انهم أخذوا أقوالهم شيئاً مسلماً به وأفعالهم حكيمة صائبة يقتدون بها ، مثلاً قالوا قديماً (لو كان بوزيد عمار عمر سواني بلاده . . من حاش بوزيد خراب على الله تبقى حماده) يقولون ان أبا زيد هو القائل لهذه العبارة ، ومن ثم اتخذوها شعاراً أو مثلاً يستشهدون به كلما اقدموا على التخريب ، ولو تتبعنا جذور هذه المقولة نجدها قد نسبت قولا الى أبي زيد أما الفعل فقد حصل من بني هلال حسبما يقول المؤ رخون .

يقول الاستاذ محمد رجب الزائدي (اتفق المؤ رخون على ان بني هلال وبني سليم عند دخولهم افريقيا قاموا بقطع الأشجار

وحاصروا المدن وكانـوا كالجـراد المنتشر ، لا يمـرون بشيء الا وأتوا عليه(1) .

ويصف بن خلدون منطقة ليبيا بعد دخول بني هلال وبني سليم اليها بقوله (كانـت بهـا الامصـار المستبحـرة مثـل لبـدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يبابا ومفاوز ، كأنها لـم تكن .

وعند كلامه عن عرب العزة ، يشير الى انهم (موطنون من أرض برقة خلاء ، لاستيلاء الخراب على أمصارها وقراها من دولـة صنهاجـة ، تمرسـت بعمرانهـا بادية العـرب وناجعتهـم فتحيفوها غارة ونهبـاً الى أن فسـدت فيهـا مذاهـب المعـاش ، وضاع العمران(2)

وكما تأثر الليبي ببني هلال حتى في تخريبهم ، فمن الطبيعي أن يكون مهيئـاً للتأثـر بكل ما حملـه الهـلاليون من عادات وتقاليد ، فأبوزيد كما تصفه الروايات الشعبية ليبي صميم ، فهو يجيد لعب (الشيزة) ولعب الورق (الكارطـة) والتنبـؤ (التاقزة) وهو خيرة من يجيد ركوب الخيل ويعرف أسرارها ، وهو فوق ذلك كله شجاع وفارس مقدام ، ودائماً ما يتعـرض

---

(1) قبائل العرب في ليبيا ص : 78 ، محمد رجب الزائدي

(2) نفس المصدر ص : 88 .

للمفارقات العجيبة وتحل به المصائب الاسطورية التي يكون نتيجتها الموت بالنسبة للبشر العادي ، وكأن ابا زيداً بطل اسطورة يشبه أبطال الأساطير التي عرفها الأدب القديم .

وان سلمنا بدور بني هلال في الحياة الاجتماعية والثقافية واجادتهم لركوب الخيل واحيائهم للقبلية بعد أن الغاها الاسلام ، والسبب في ذلك هي المصاهرة وارتباط بني هلال بالليبيين بصلة النسب ، الأمر الذي جعل الليبيين يهتمون بعلم النسب لأظهار صلة كل منهم ببني هلال ليصيبه هذا الشرف العظيم ، ومن هنا نمت القبلية من جديد .. قلت اذا سلمنا بذلك ، الا اننا لا يمكن أن نسلم بالشكل الذي ظهرت فيه شخصية أبي زيد الهلالي في الروايات الشعبية العربية عامة والليبية خاصة ، ففي تونس مثلاً نجد أبا زيداً تونسياً وفي المغرب مغربياً وفي ليبيا ليبياً ، وهكذا فأبو زيد يلبس شخصية ابن البلد في كل بلد يمر به ، ومن الطبيعي ان يتأثر بني هلال بعادات كل بلد مروا بها أو أقاموا فيها خاصة وان الهلاليين فئة قليلة اذا ما قيست بعدد أبناء البلاد ، والصحيح ان الاثنين تأثروا ببعضهم البعض ، وامتزجت دماؤهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وانصهرت في بوتقة واحدة هي البيئة الليبية ذات الطبيعة الصحراوية والتي تتطلب شخصاً تتوافر فيه الصفات التي وصف بها الليبيون بني هلال فحتى في اللغة والشعر نجد التشابه الكبير بين أشعار بني هلال ، والشعر الشعبي الليبي

من ناحية الوزن أوالتفعيلة، واتفاق الكثير من المفردات في المعنى والنطق مع مفردات متداولة في اللهجة الليبية ، استمع الى هذا الشعر الهلالي وتأمل ما فيه من مفردات معروفة في اللهجة الليبية ، تقول الأبيات :

تلاقيت انـاوياه في حومـة الوغى

عشرين يوم اتعبونـي مجالها(1)

ويقول عزيز الهلالي :

يقـول عزيز القـوم والنـار بالحشا

دمـوع عينـي زايدات سكايب

فأن أتيت لأرض المغـرب وشفتها

سلـم على الاخـوان ثم الحبايب

هذه الأبيات لا يمكن أن تكون صعبة الفهم حتى على الليبي الذي يجهل القراءة والكتابة ، فكل الكلمات الواردة فيها متداولة ومعروفة في اللهجة الليبية ، مثل كلمة (تلاقيت أنا وياه) و (زايدات سكايب) و (شفتها) ، هذه المفردات وكثير غيرها يحفل بها شعر بني هلال .

والنقطة التي لا بد من اثارتها ان بني هلال كان لهم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية والثقافية وهيأ لهذا التأثير نفوس الليبيين

---

(1) تغريبة بني هلال الى بلاد المغرب

المتقبلة والمحبة والمرحبة بالصفات التي اتصف بها بنو هلال ، وبذلك أصبحت اللهجة الليبية أقرب اللهجات العربية الى اللغة العربية ، بل كادت أن تكون لغة الليبيين هي اللغة العربية الفصحى لولا أن ، دخلت عليها اللغة التركية والايطالية فأصبحت لغة الليبي خليطاً من هذا وذاك ، ولم تؤثر الا في طريقة نطقنا للكلمات ، كالاكثار من أدخال الألف في بداية الكلمة وتشديد أغلب الحروف عند النطق[1]. ورغم وجود الكثير من المفردات الدخيلة الى الأن في لهجتنا الا أن الكثير منها قد أنتهى ولم يبق الا القليل ، وهي قليلة جداً لو قيست بتأثير الفرنسية على سكان الجزائر وتونس ، أما في ليبيا فقد ظلت اللغتان التركية والايطالية محدودتين حتى أثناء وجود الأتراك والايطاليين بليبيا ، وكأمثلة على الخليط الموجود باللهجة الليبية وعلى اختفاء بعض المفردات الأجنبية الدخيلة ، أورد هذه الأبيات :

يقول الشاعر الشعبي رجب بوحويش :

وريحة اللي خايلة باللجامي غريمة الهميلة منقودة التناسيب نقدة الريلة[2] فالريلة تحريف لكلمة (الليرة) وهي قطعة ذهبية كانت مستعملة كعملة في زمن العثمانيين .

---

(1) قبائل العرب في ليبيا ص : 31 (محمد رجب الزائدي .
(2) ديوان الشعر الشعبي : منشورات جامعة قاريونس / كلية الآداب .

ويقول شاعر آخر :

يهضب كيف تهضيب النداوى
أكوال الروم منه زاعلات

و) (أكوال) المقصود بها جمع (كولونا) أي طابور باللغة الايطالية .

ولا ريت عساكر تلعب
الهن سنزق فيه اعلامات

وكلمة (سنزق) مأخوذة من (سنجق) باللغة التركية وتعني الراية .

برونتي ونا رسمتي كبير أوظافه
أدبك عدو تراس ونصادفها

و (برانتي) كلمة ايطالية معناها (مستعد) .

ومن هذه الأبيات نرى ان الكثير من هذه الكلمات قد اختفى ، ورغم ذلك فاللهجة الليبية كما قلت هي أقرب اللهجات العربية الى الفصحى ، كما هي شيم الليبيين وخصالهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم عربية خالصة ، ورغم ما شاب سيرة بني هلال في ليبيا من تحريف وخيال ، الا إنها أوجدت أدباً عربياً ليبياً ، كان له الدور في صنع الشخصية

العربية المثالية التي من صفاتها الـكرم والشجاعـة والإبـاء ، نظراً لتأثر الليبي منذ نعومة أظافره بما يروى له عن بني هلال ، حتى صارت سيرتهم ملحمة توارث روايتها ابناء هذا الوطـن فاستمد بذلك جذور ثقافته من الثقافة العربية الأصيلة .

ليبيا عربية

ان العصبية القبلية التي جُبل عليها العربي ، فأمتلأ بها قلبه وسيطرت على كيانه فأمتلكت لبّه وجعلته يخلص للقبيلة التي ينتمي اليها اخلاصاً لا حدود له ، بل وإنه ليحس بمدى ضعفه واهانته عندما تتبرأ منه قبيلته وتسقطه من حسابها ، ويأخذ ذلك من نفسه كل مأخذ ، فالفرد عند العرب لا يساوي شيئاً بدون قبيلة تحميه . . ولذا كان الالتصاق بالقبيلة والتقرب لها أمراً لا بد منه ، فنجد الشاعر يتغنى بقبيلته فيمدح ويتقرب ويعتذر اذا ما صدته قبيلته ، ولذا جاء الأدب الجاهلي حافلاً بالهجاء والاعتذار والفخر بالشجاعة ونصرة المظلوم واكرام الضيف والدفاع عن الجار وعلو النسب ، والمشادات الشعرية في هذا الموضوع كثيرة ، والتي كثيراً ما دارت رحاها في سوق عكاظ، وتنتهي بأن تُسل السيوف وتشتعل الحرب التي قد يكون سببها تافهاً كحرب البسوس ، أو داحس والغبراء ، ولكن العربي كان يرى في هذه الأسباب مساساً بأنفته وشموخه وكبريائه ،

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شموخ العربي والذي يصل الى حد التزمت .

ولا شك ان الأدب العربي وصل في ذلك العصر الى أوج كماله وعظمة رقيه ، ولا عجب في ذلك ، فحاجة القبيلة الى شاعر أمر لا بد منه ، ليدفع عنها كيد الساخطين . . الهازئين ، واحتفال القبيلة بميلاد شاعر لا يدانيه احتفال ، وبذلك نهض الأدب وعلى رأسه الشعر واحتل الشاعر مكانة مرموقة بين أفراد قبيلته وقرّبه الحكام اليهم . ، وقد استعذبت العرب الشعر وأثر في نفوسهم وكان له أثره في التغيير ، فالحاكم قد يعفي من اجل بيت شعر يتودد به شاعر او يعتذر ، وهذا التغيير محدود ، فلم تكن للشاعر الجاهلي قضية امة بل قضية قبيلة ، أو قضية فرد عاشق الا في ما ندر ، والخلاصة ان الشعر وصل درجة رقيه الفني فأثر في النفوس وأثرى الأدب العربي .

أما النثر كالمقامات او الحكاية التي تدور على السنة الحيوانات ، فقد كانت تحض على الصفات الحميدة وتحمل حكمة وموعظة ، وأكثر القصص العربي شفهي يختتم أو يلخص في مثل مختصر يحمل معان كبيرة ، وبذا لا يضيع مضمونها ، بل أحياناً تضيع الحكاية ، ويبقى المضمون ، وهذه الحكاية التي يبقى مضمونها في مُثلٍ مأخوذة أحداثها من الواقع بل واقعية حدثت بالفعل .

وكما ضرب العربي المثل الأعلى في الأدب والحكمة ، فهو فوق ذلك له خصال عظيمة ، فهو فارس مقدام يعشق الخيل والإبل ويتغنى بها ، وهذا الحب جعله عليماً خبيراً بأسرارها يعرف أصيلها من رديئها .

وبحكم البيئة الصحراوية كان العربي فلكياً رائداً ، فهو يستطيع الوصول الى أي مكان يرومه عبر الفيافي المظلمة مسترشداً بالنجوم ومواقعها ، ونتيجة لهذا الاهتمام قدّر العربي مواقع النجوم وتنبأ بما ستكون عليه الفصول ، وقدّر الحالة الجوية لكل يوم عن طريق التطلع الى القمر ، وبذلك كان العرب اسبق الامم الى علم الفلك . والعربي أيضاً يؤمن بالتشاؤم ، ويصدق المنجمين والعرافين ، ويرضى بالنصيب والقضاء والقدر ويوفْي بالعهد ، والى جانب ذلك كانت له عادات رذيلة كالقمار وشرب الخمر ولعب الميسر ووأد البنات ، وهذه كان العربي ينظر إليها على أنها نوع من الفرسنة والذكاء والقدرة على الإفحام كما في القمار وليس على انها عادات رذيلة سيئة .

وعندما ما ظهر الاسلام وانتشر وَحّدَ العرب وحرَّمَ عادات وأبقى اخرى فشجع عليها ووجّه العربي من متعصب الى قبيلته الى إنسان وحدوي يتضامن مع أخيه المسلم ، حتى وان لم يكن

عربياً (لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى) وبذلك أصبح للعرب وللمسلمين كافة قضية كبرى واعداء هم اعداء الاسلام ، فحملت اشعارهم مدح الرسول والزهد والتقشف والدعاء ، وأنبثق أدب جديد في مضمونه ، يحمل قضية ويدافع عن الدين ويمدح الفتوحات ، وينظر الى القبيلة على انها رباط اجتماعي مقدس لا يتجاوز هذا الحد .

والآن سوف لن نكون مبالغين اذا قلنا أن ذلك العربي الذي تحدثنا عنه موجود في ليبيا .

ان ذلك العربي البليغ الهِجَاءْ والوصف والرثاء والفيلسوف الحكيم ، ثم العربي المسلم الزاهد المتقشف ، موجود بلحمه ودمه في صحراء ليبيا ، ففي ليبيا كانوا يقدّرون الشعر والشعراء ، والذين هم بالطبع شعراء شعبيون ، فنفس المشادات الشعرية والهجائيات والوصف والغزل والرثاء والمديح وشعر الحكمة والأمثال يعرفها الليبي حق المعرفة . وكثيراً ما حدثت المعارك والحروب القبلية من جراء أسباب واهية كما كان الحال في شبه الجزيرة العربية ، والعربي الذي يرصد حركة الكواكب والنجوم ويتنبأ بالطقس هو الليبي بعينه ، فمثلاً كانوا ينظرون الى القمر وعن طريق علامة دائرية ضبابية حوله يتنبئون بعواصف رملية تحدث في اليوم التالي ،

وعن طريق الجوزاء يتوصلون الى تحديد بداية كل شهر أو فصل وعلى السنة المجدبة من غيرها .

والعربي الليبي عن طريق النجم القطبي يصل الى ما يريد عبر الفيافي المظلمة ، أما إكرام الضيف والشجاعة والدفاع عن الجار ، وعزة النفس فالليبي فيها غني عن التعريف ، أما النظام القبلي في ليبيا فهو بحذافيره النظام القبلي العربي حتى اللهجة الليبية تعتبر أقرب اللهجات الى العربية الفصحى ، والأدب الليبي الشعبي بأمثاله وأشعاره وقصصه ، هي بعينها مضامين طرقها الأدب العربي وحتى التطور في المضمون والإتجاه الذي اتجهه الأدب العربي بعد ظهور الإسلام أتجهه الأدب الشعبي الليبي ، فتطرق الى الزهد ، وحفلت قصائده بذكر الله والرسول ليس هذا فحسب ، بل شابهت القصيدة الشعبية القصيدة العربية في الأوزان والبحور وبالذات بعد دخول بني هلال وسليم الى بلادنا ، ويعتبر دخولهم ذو أهمية كبيرة ولنتحدث عن عروبة ليبيا مستهلين الحديث عنها باللغة العربية :

1 ـ اللغة العربية :

يقول الرحالة العبدري : (وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم وهم إلى الأن على عروبتهم لم يفسد من كلامهم

إلا القليل ، ولا يخلوا من الاعراب الا ما قد ندر ، فقد مررنا باطفال منهم يلعبون ، فقال لنا واحد منهم : يا حجاج معاكم شيء تبيعونه ؟ وأثبت النون وسَكنَ الهاء للوقف ، ورأيت اعرابياً منهم قد الحت عليه امرأة تسأله عن طعام معه ، فقال لها : (والله ما تذوقينه) فأتى بضمير المخاطبة على وجهه وأثبت النون وسكّن الهاء(1) ، وقد أطال الرحالة العبدري في ضرب الأمثال التي تؤكد عروبة اللسان الليبي ، ولكن المجال لا يتسع لذكرها .

2 ـ القصة :

انتشرت القصة العربية الليبية شفهياً مستمدة اصالتها من التراث العربي الأصيل ومتأثرة بمأسي الليبي ومجتمعه وبيئته والذي يشابه المجتمع العربي وبيئته ، وسأكتفي بسرد المحاورة التي تشبه فلسفة الحكيم الهندي (بيدبا) في قصص كليلة ودمنة ، والتي أوردها الاستاذ صلاح الدين جبريل في كتابه (تجريدة حبيب) ، تقول المحاورة : يقف القط على جحر الفأرة وهي خائفة ، والقط يقول (ولهان خاطري باقدار يسيرن معانا علم) (وتطمئن الفارة بالاغنية ولكنها عندما تخرج رأسها

---

(1) قبائل العرب في ليبيا ـ ص118-119 محمد رجب الزاد

من الجحر تجده قطا ، فتخاف وتعود الى جحرها ، وطالبت مدة الانتظار فتعب القط وذهب الى القنفد سلطان الدويبات واشتكى له رغبته في الفارة وقال له بأنه يريدها زوجة له ، فذهب القنفد الى الفارة وبلغها مقالة القط ، وسألها رأيها ، فقالت : ما هو؟ ، فقال قط ومأتمنك جانبه) وبعد أن وافقت الفارة على الزواج ، قالت : (أصحى من عوايد بوك .. انخاف راك تسهى ياعلم)[1] .

وهذه الحكاية المستمدة من التراث تصرف فيها الليبي فعكست أوضاعه الاجتماعية السائدة وسنجد الكثير من الحكايات الشعبية تدور على السنة الحيوان وتنتهي بحكمة وموعظة كما في كتاب كليلة ودمنة ، وهذا ما جعل الأدب الشفهي الليبي يصل الينا حاملاً ومصوراً الوضع الاجتماعي ، ثم أخذ طابع المأساة التي كابدها الانسان عامة .

ومن الأشياء التي تؤكد عروبة الأدب الشعبي الليبي نادرة جحا والتي فحواها أن والدة جحا ذهبت إلى عرس وطلبت من جحا (أن يكون رأسه ورأس الباب) أي ان لا يبعد عنه أبداً ، ولكن جحا خلع الباب وأتى امه يحمله على رأسه . فهذه النادرة

---

(1) تجريدة جيب . ص70 ـ صلاح الدين محمد جبريل .

التي يرددها الشعب الليبي ذكرها صاحب كتاب نثر الدرر وهو من ادباء القرن الخامس الهجري .

3 ـ الشعر وأغراضه :

من ميزات الشعر العربي التصوير البلاغي والمستوى الفني الرفيع ، والموسيقى الساحرة ، وقد شملت اغراضه الفخر والهجاء والوصف والغزل والمديح والرثاء ، وهذه الاغراض تطرق اليها الشاعر الشعبي في ليبيا .

1 ـ الفخر بالكرم : يقول الشاعر الشعبي :

ونابـوى بوقصعـــة وسيعــا مدارها
علي بيتنـــا ضيف الخـــلا نشاد

لاحظ الكناية في (ونابوى بوقصعة وسيعا مدارها) ثم جمال البيت .

وعن نفس المعنى يقول شاعر آخر :

أمبات الجلاوى وين ضاق امباته
وضاقن عيونه والطريق رماته

2 ـ الفخر بالاغارة :

ايهـــدن بيض من لبس الكساوى
ويردن حمـــر من نغـــر الدما

امـا فكهـا سالـم وبيهـا روح
وخـلا صبـايا واجـدات تنوح
يبكن علي فارس رقد مطوح قعد
في المدنـة والفـرس جوبيها

3 ـ الشجاعة :

ايجنـة طرابـة دايرات ضبابة
اركبهـن كما جظـة قطـا عطشان
علي كل قبـة با اللبـب تجبه
تسبـق رفيف الطـير بوجنحان
وان تاق ينطحنـة ما يولن عنه
ولايـل على الكافـر عدو لديان

4 ـ الخصال العربية الحميدة :

اسماح المسـايل هل البيت الخايل
ركابـة عريض الصـدر بومسلان

5 ـ الفخر بالقبيلة :

يقول الشاعر سعيد شلبي مفتخراً بقبيلته :

علي اشلبـي نوارة الجيل
واخـرى بوسعـد ذقـت ناره

وبــوام الهنــا ما هو اعويل
يوم البــلا ما اذارى . .
ويونس اللي ادقــول قنديل
بو بيت واســع مداره

6 ـ الجار :

يقول الشاعر الشعبي (فضيل الشلماني) في رسالة له من المنفى بأيطاليا ويحملها سلامـه الى جيرانـه وذويه ، فيقـول : مخاطباً طائراً مر بجانبه :

سلــم علي لجواد فرسان القسا
حمــاة الصفــايا ساعــة الزنان
علي كبارهـم وصغارهــم واللي في
الندا وجار جارهم واللي يلحظ النيران

7 ـ النجوم :
وقــت زقــوزة وعــاد يبرمــوا
بــرمــة نجــوم الــزوزة

8 ـ شعر الحكم :
ودك بنــادم كلمتــه مصروبة
ينقــي خطاهــا قبـل تطلــع منّه

ينقــي خطاهــا منهــا ويحطها
في البــال ويضمنها
وكان بايرة مرات يسـكت عنها
حديث ياسر تخطــره وتكنه

9 ـ الهجاء :

يقول الشاعر حسن لقطع يرد على شعراء آخرين :

عرب يا ناري منقرضين
امغـير جواجــي تحــت اجرود

10 ـ المدح :

يقول الشاعر هيبة بوريم مادحاً المجاهدين :

خبــركم تردد في البــرود تبدد
زهــاة من يعــود بيه في الميدان
براوة عليكم ربنــا عاطيكم
عمل من أيديكم موش قول السان

وكما اتفقت اغراض الشعـر الشعبـي الليبـي مع اغـراض الشعر العربي في عصـوره المختلفـة ، فقـد اتفقـت مضامـين القصائد الشعبية مع مضامين القصيدة العربية وأسوق منها هذه الأمثال على سبيل الايضاح :

يقوا، شاعر الفصحى :

ان القلــوب اذا تنافــر ودها
مثـــل الزجاجــة كسرهــا لا يجبر

ويقول الشاعر الشعبي (اشريف السعيطي) :

العيب ما يتكبــر والقــزاز ما عمــره اكسر وجبَّر

ويقول امرؤ القيس :

قفـا نبـك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخـول فحومل

وتقول الاغنية الشعبية :

ان كان فيك دمـــع ايسيل
يا لعـــين هاذى دارهم

ويقول ابو فراس :

اذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
وانزلت دمعا من خلائقـه الكبـر(1)

---

(1) ـ تجريدة جيب : صلاح الدين محمد جبريل

وتطابقها اغنية (العلم) التي تقول :

نهاهــن ايد يرن عزم
ايجيهــن الليل ويذرفن

ويقول المتنبي :

ارى ماءاً وبـي عطش شديد
ولـكن لا سبيل الى الورود

وتوافقها الاغنية الشعبية القائلة :

عطـاش ريهـن في ليد
مـلازيم والماء اقبالهـن (1)

وقد اتفق الأدب الشعبي مع الأدب العربي حتى في مضامين أمثاله ، فكم من مثل عربي عبّر عنه شاعر شعبي في قصائده ، فكما يقول المثل العربي (الطبع يغلب التطبع) او (من شب على شيء شاب عليه) ، يقول الشاعر الشعبي :

هدايات ما الـرب الـكريم العالي
وبوطبـع ما تنفـع امعـاه الحيلة

---

(1) نفس المصـدر .

والعربي الليبي يؤمن بالقضاء والقدر وبالحظ وسوء الطالع وأدبه الغزير يشهد على ذلك ، وهو في هذه الخاصية يشابه أخيه العربـي في أي مكان . وبنـاءاً على كل ما تقـدم ، فنحـن لا نتحدث من فراغ عندما تقول (ليبيا عربية) ، وفي فصول اخرى من هذا الكتاب ستجد ان ليبيا عربية اسلامية .

عصور الإستبداد ومأساة الإنسان

مرت على الوطن العربي عامة وعلى الليبيين خاصة ، حقب مظلمة قاتمة عانى فيها هذا الشعب الامرّين ، وبلغت أوضاعه الإقتصادية والإجتماعية ، والسياسية قمة الركود والإنحطاط ، وحدث التناحر والإنفصام ، فطعن العربي في قوميته من حيث لا يدري ، بل وأغترب الإنسان الليبي حتى مع نفسه ، ولم يعد يثق في قدراته ، وأنسته عصور الإستبداد عزته ، ومجده عندما تحكمت في مصيره حكومات أجنبية دخيلة ، حتى أن العربي فقد الأمل في قيام قوميته من جديد ، أو دولته، يقول احد أمثلة الانحطاط :

* (لا يلحق العربي في دولة إلا المسحة والجدولة) .

هذه كانت وظيفة العربي ، كما رسمها هذا المثل والذي هو تعبير أوجدته دول الإستعمار ، فقد شكك المحتلون ، العربي الليبي في معدنه الأصيل ، حتى أصبح لا يثق في أخيه وابن وطنه ، وظهر هذا التشكيك ولمسه الليبي واضحاً إبان الغزو

الإيطالي الفاشيستي ، عندما استطاع المحتلون الطليان أن يقوضوا الوحدة الإجتماعية لليبيين عن طريق تجنيد عدد منهم لخدمة علم ايطاليا ، ليس هذا فحسب ، بل عمد الفاشست الى إظهار نوع من التسامح الدعائي في طريقة تشبه حيل الثعالب لكسب تأييد الليبيين لهم والتمكين لقيام دولتهم والتي أدعوا إنها جاءت من أجل نهضة ليبيا ، وكانت النتيجة أن أنخدع الكثير ، فحملت إلينا روايات الشيوخ عن الاحتلال . . الايطالي مقولة مفادها (بأن لكل شانه ، ولا دخل لأحدٍ في أحد ، واللي ما يدير شيء ما يجيه شيء) ، وهكذا أصبح كل يريد ، أن يفر بجلده ، وسمّى الإستعمار ذلك عدلاً ، وجرف هذا التيار عدداً لكنه قليل اذا ما قيس بعدد الصامدين الشرفاء ، وهذه الفئة المخدوعة حملت الينا الرؤ ية الخاطئة التي ترى في الأوربيين والغربيين عامة على أنهم هم أعظم من أبناء وطنه وعروبته ، هذا العربي الذي أصبح اجرباً على حد تعبير المثل القائل : (العرب جرب) و (ان عربت خربت) .

وهذا المثل هو الذي وأد الحرية ، فالعربي الليبي ، الذي كان اجتماعياً دائم الترابط والاعتزاز بعروبته ، هذا العربي نجح الغزاة في تغيير أفكاره بأن أعدموا ثقة الأخ في أخيه ،

العربي الليبي الذي عُرف بالاستماتةِ في الدفاع عن الملهوف ، مرت به فترة أصبح يقول فيها :

ـ أخطى رأسي وقص .

ـ طبس تخطاك .

منتهى الذل والعبودية ، لا ترفع رأسك ولا تكن رافضاً إذا أردت أن تنجو .

وقالوا : (اللي تشبحه راكب علي اخشبه قوله مبروك عليك حصانك الجديد) أي رغم علمك ويقينك بالخطأ الماثل أمامك فلا تقع في مغبة التوصية والإرشاد والنصح الى الصحيح ، بل قل عن الخطأ بأنه هو الصحيح .

* (ان كان لك حاجة عند الكلب قوله يا سيدي)

هذا نوع من العبودية والمذلة يحمل طريقة سياسية يائسة تعبر عن الركود والانحطاط النهائي وعلى الوسيلة الأخيرة السهلة التطبيق ، فرغم اليقين بأن المتحكم في الحاجة (كلب) لا قيمة له ولا يستحق هذه المنزلة إلا أنك من المفروض عليك أن تقول له (سيدي) .

* (اليد اللي ما تقدرش تعضها بوسها) ، أي إذا انعدمت

القدرة على المقاومة فمن الواجب الاستسلام ، وهذا المثل يعرفه الشعب المصري ككثير من الأمثال المعروفة في ليبيا ، وهذا يعبر عن مأساة العرب الواحدة .

* (. . انه لمنتهى الذل والاستعباد ، ولكن لا حيلة لهم ، وكما يقولـون (اليد ما تعانـدش المشفـة) . والمعنـى انهم مساقون الى ذلك بالقوة ، والقوة كما يصورها المثل متمثلة في (المشفـة) واليد متمثلـة في أبنـاء هذا الوطـن المغلوبـين على أمرهم ، والذين افهمهم الحكام الذين تعاقبوا على حكمهم بأنه ليس للعرب القدرة على الأخذ بزمـام الامـور وتـكوين دولـة مستقلـة ، وأنهـم أي العـرب محتاجـون دومـاً الى الوصـاية والحماية : ، حتى أصبح المثل السائد :

- (لا يصير من العرب باشا ولا من الحطب ماشا) .

وهذا إسقاط يعبّر عن مدى انفصـام كيان العربـي الليبـي وازدواجية نفسه الواحدة وانه ليدل دلالة واضحة على ان الليبي يحزنه الا يكون منه (الباشا) .

وهذه الأمثال وان كانت تعبيرات تمثل حالات نفسية عارضة أو هي تشاؤمية وغير صحيحة ، فإن للأفعال النفسية مسبباتها وتعبيراتها الجديرة بالدراسة لمعرفة العلة وبذلك تكون قاعـدة

للبحث والدراسة والتحليل ، فهي كما ذكرت اسقاطات . . نفسية فلكل مثل قصة ، والتاريخ دائماً يتدخل فيدعم ، فلا يخفَ على أحد بأن . . هذه الأمثال كانت حصيلة عصور استبدادية مختلفة ، ابتداءاً بأقدمها ومروراً بعصور الباشوات والفاشست ، ونحن الأن هم الذين اصبحنا نستعملها جاهزة وموروثة ومخالفة طبيعة العصر الذي نعيشه ، وهنا تبرز أهمية التاريخ فيكون القول الفصل .

هذا وسوف لن نكتفي بالأمثلة ، بل سنتجاوزها الى القصة والالغاز الشعبية ، فقد حملت القصة الشعبية مأساة الانسان ، ومن النادر ان نجد قصة واحدة تخلو من إهانة الإنسان وغربته وحتى موته ومعاملته معاملة غاية في القساوة ، والبشاعة دونما احترام لأدميته التي علاها الحيوان الأخرس منزلة ، كما سنرى في هذه الحكاية ، التي تقول : (ترافق شخصان أحدهما اسمه (ابونية واحدة) أي ضمير واحد والمقصود ان له نفس لوامة تطغى على النفس الأمَّارة) ، أما الثاني فأسمه (ابونيتين) أي أن له نفس أمَّارة ضعيفة وضميره ميت) .

ترافق الأثنان في سفر وأثناء سيرهما شعرا بالعطش ، فأقترح الثاني على الأول أن ينزله البئر فيشرب ، ثم يخرجه وبعد ذلك يدخل هو .

وافق الأول على الإقتراح ونزل البئر ، فتركه الثاني وهرب .

وهكذا بقي الأول يواجه مصيره داخل البئر والتي وجد بداخلها ذئباً وثعلباً وأسداً ، وعندما أذنت الشمس بالمغيب حطَّ على حافة البئر طائران كبيران ، قال الطائر الأول لصاحبه : أنا جانٌ مسست فتاة قبل حضوري الى هنا . وقال صديقه الطائر الثاني : سمعت أن ثمة كنز في مكان بعيد ذهبت اليه وأحكمت إغلاقه قبل حضوري الى هنا .

واستمر حوار الطائرين حتى الفجر ، عندما أتى راعٍ ليسقي غنمه ، فعثر على (بونية) والحيوانات التي معه في البئر ، وما أن رأى (بونية) الراعي حتى صاح مستغيثاً : (اخرجني أنا أولا . . أنا بشر وقد تحتاجني) ، فقال الذئب (طلعني أنا ما طلعش البنادم . . تسقيه الحليب . . يسقيك الشراب وتصبح نادم) ولكن الراعي لم يأبه بما قاله الذئب وأخرج الإنسان أولاً ثم الأسد ، ثم الثعلب وأخيراً الذئب وقبل أن ينصرف الجميع شكروا الراعي ، وقال (بونية) له متى تحتاج مساعدتي فهذا عنواني وستجدني خير صديق .

وقال الذئب : متى اردت شاةً أو حتى غنماً ، أحضر إلي وستجدني خير من يرد الصنيع .

وقال الثعلب : متى احتجت للملابس فأنا على استعداد .

وقال الأسد : متى كنت في ضائقة مادية عليك باللجوء الي .

وذات يوم أراد الراعي أن يختبر صحة ما قاله أصدقاؤ ه الذين انقذهم من البئر فقصد الثعلب طالباً منه الملابس التي وعده بها ، فرحّب الثعلب بقدومه وأمره بالجلوس ، حتى تمر قافلة ، وعندما مرت قافلة لأناس موسرين اعترض الثعلب طريق القافلة ، وتوسط صفوف الإبل وشتت شملها ، فهاجت الابل وماجت ، وتساقط من حملها الملابس ، فحملها الثعلب وقدّمها لصاحبه الراعي منفذاً ما وعد به فشكره وانصرف متوجهاً الى الذئب ليطلب منه غنماً ، فأمر الذئب الراعي بالتريث حتى يأتي المساء ، وعندما أتى المساء عوى الذئب ، فاجتمع حوله خمسون ذئباً ، فأمر كل واحد منهم أن يحضر شاةً ، فنفذوا ما طلب منهم وقدم الذئب للراعي غنماً كاملة ، فأخذها شاكراً صديقه الذئب ، وودعه ذاهباً إلى الأسد فوجده نائماً بجانب صخرة كبيرة ، فحياه فرد الأسد التحية وقال ما حاجتك ، فقال الراعي أريد ما وعدتني به ، فتحرك الأسد وأطاح بالصخرة والتي كان تحتها كنز يتمثل في الاف الجواهر الثمينة ، وقدمها للراعي .

وبذلك أصبح الراعي غنياً ولم يعد بحاجة الى معونة الانسان الذي وجده في البئر مع الحيوانات ، ولكن الراعي لطيبته قرر أن يذهب إلى صديقه الإنسان (بونية) فيعطيه شيئاً من الذهب . ، ولما وصل بيت صديقه الإنسان وسأل عنه زوجته . . أجابت بأنه ليس موجوداً ، فقال الراعي : كنت اود أن أقدم له عوناً مادياً بأن اقتسم معه هذا الكنز) ، فصاحت الزوجة : (انتظر انه موجود . . سيأتيك حالاً) فخرج عليه (بونية) وأمر الراعي بالدخول ، واقتسم الإثنان الكنز ، وعندما تم ذلك أمر (بونية) الراعي بالانتظار فهو خارج لأمر هام وسوف لن يتأخر ، فوافق الراعي وانتظر ، ولكن لم يكن صديقه (بونية) ذاهباً إلا ليبلغ الشرطة ، بأن سارقاً أتاه ، فاعتقلت الشرطة الراعي ، وسألوه : من أتيت بالكنز ؟

فأجاب : (قالها الذئب)

ـ من أتيت بالكنز ؟

ـ (قالها الذئب) ، فأمروا بسجنه ، وسألوه من جديد ، ولكنه لم يرد بأكثر من قوله (قالها الذئب) . ، فأمروا بأعدامه ، وعندما أوصلوه لحبل المشنقة سألوه ، وكان جوابه (قالها الذئب) ، فأمرهم الحاكم بالتريث وأنفرد به

يسأله عن معنى العبارة التي يرددها فقص عليه الحكاية مختتمها بقول الذئب (طلعني نا ما طلعش البنادم تسقيه الحليب . . يسقيك الشراب وتصبح نادم) وها قد ندمت لأنني فضلت الإنسان على الحيوان ، ولقد وجدت التكريم من الحيوان ولم أجده من الانسان !! ، بل وجدت منه الأذى) . !!

وهذه الحكاية تكشف لنا عن مدى إهانة الإنسان وسقوطه ، فحتى (يونية) ذو الضمير الحي كانت نظرة الحيوانات فيه صائبة ، أي حتى ذو الضمير الحي ، هو في الواقع مخادع ، وأن الحيوانات برهنت على أنها في مستوى أعظم من الإنسان ، وهذا منتهى الإغتراب والمأساة ، وهي بالطبع وليدة عصور مستبدة .

وثمة حكاية اخرى ملخصها أن (غولة) و (الغولة) يكثر الحديث عنها في الأدب الشعبي وهي من نسج الخيال ، ولا وصف لها ، إلا أنها تحمل كل الصفات المخيفة ، وهي لا بد أن تكون قد أوجدتها عصور الإستبداد والخوف ، وهذه الحكاية نشأت في العصور المشار إليها ، وتمثل شظف العيش ، والحالة الإقتصادية السيئة . ، فنجد أن الغولة قد أتت على كل ما في البيت ، تقول خلاصة الحكاية (أن رجلاً شيخاً وزوجته العجوز يعيشان معاً ، ولا يملكان شيئاً من الدنيا إلا بقرة واحدة

يقتاتان من لبنها ، فتسلطت عليهما (غولة) وأخـذت تأتيهما كل يوم وتطلـب منهما طعامـاً ، وتهددهـم بأن تأكلهما إذا ما رفضوا طلبها ، فقد كانت (الغولة) تقول (يا شويب يا عجوز يا بقيرة قندوز عطوني ما نتعشى الليلة ، وإلاهمّ نأكلـكم) . وفي المرة الاولى قدما لها رغيفاً من الخبز ، وفعلا ذلك في مرات عديدة ، حتى لم يبق لهما شيئاً غير البقرة ، فلما أتت الغولـة قدموا لها البقرة ، وبذلك لـم يبـق لهما شيء ، وخافـا النهـاية الأليمة ، فاختبآ ، العجوز في أحد أركان البيت ، والشيخ في (قفة) معلقة ، وعندما حضرت (الغولة) منشدة طلبها المعروف ، لا من مجيب ، وبعد تفتيش ليس بالطويل عثرت على الإثنين والتهمتهما . وهكذا فكل القصص الشفهي الليبي لا بد أن لا يكون الإنسان فيه مكرماً أو سعيداً ، ولا يتسـع المجال لحصر كل القصص فأغلبها لم يصلنا بل ضاع ، ولكن لم تزل مجموعة كبيرة منها يمكن تجميعها ومن ثم دراستها(*) .

والإشارة الواضحة او السمة الغالبة على هذه القصص هي المأساة مأساة الإنسان كما في الحكاية ، الثانية ، وإهانته

---

* يقوم الاستاذ : سعيد المحروق بتجميع القصص الشفهي الليبـي / راجـع مجلـة الفصول الأربعة .

وسقوطه الأخلاقي وإنعدام مركزه الذي وهبه له الله كما نلاحظ ذلك في الحكاية الأولى .

ومن الأمثلة على شظف العيش وتفشي الجوع ظهور حكايات الأطفال ، والتي تحمل شتى الصور المرعبة ، كا (العفريتة) و(الغولة) والمغامرات المخيفة ، ومن الشائع المعروف في المجتمع الليبي أن (الغولة) و (العفريتة) من أدوات الإرهاب التي كانت تستعملها الأُسرَ ضد الطفل لارغامه على النوم أو الكف عن عمل (ما) ، فتزعجه الصور والأخيلة المرعبة الواردة في الحكاية فينكمش الطفل ملتصقاً بأمه وينام .

وهذه الحكايات هي التي صنعت لنا الإنسان المهزوز ، وأن كانت بعض حكايات السير كسيرة بني هلال مثلاً ، كان لها الأثر في توسيع خيال الطفل وتلقينه خصال طيبة كان يشتهر بها بني هلال ، ولكن رغم ذلك نجد لطفل لم يتخلص من (العفريتة) فحتى (ابو زيد الهلالي) حسب الروايات الشعبية لم ينجو من خطر العفاريت ، والتي هي من صنع الخيال الليبي ، هذه (العفريتة) التي أفقدت ابا زيداً إحدى عينيه لأنها كما يصورونها روح خفية لا يمكن معاقبتها ، أو القضاء عليها ، أو حتى مجرد التخلص منها ، فبذلك يرى

الطفل أن الشجاعة ليست حلاً لمواجهتها ، فلو كان كذلك لاستطاع (أبو زيد) التخلص منها .

والحكايات الحافلة (بالعفاريت) و (الغولة) يبدو أن منشأها عصور العوز والحاجة ، التي تُجبر الأسرة على أن تجعل أطفالها ينامون ، حتى لا يطلبون طعاماً ، وخاصة طعام العشاء الذي هو وجبة ضرورية عند الشعب الليبي ، وقديماً قالوا (أطول من ليلة بلا عشاء) ، وكذلك نجد أن الحكاية أو (الخرافة) لا تقال إلا أثناء الليل ، يقولون (اللي أيخرف في النهار بوه احمار) ، وحتى (العفريتة) لا تخرج إلا ليلاً ، ويظهر أن الحكايات لا تكثر إلا في أوقات الجوع ، فقد كانوا يقولون بعد نهاية (الخرافة) . . . . و (خرافتي هابه . . هابة العام الجاي ايجينا صابة) ، وكأن عدم جودة الخرافة له ارتباط وثيق بحالتي الشبع والجوع ، وأعوام الخصب والجدب ، فالشبعان هو الذي لا يكون محتاجاً (للخرافة) بعكس الجائع ، ومن هنا يبدو أن عام الجدب هو عام الخراريف ، والتي يكون لها مفعولها في جذب الأطفال إلى النوم ، وعلى عموم القول فتلك هي مصادر أدب الطفل إنذاك والتي لا شك أن لها الأثر الكبير في تكوين الشخصية والخيال ، وهي أيضاً مرأة عاكسة لوضع أقتصادي منهار خلفته عصور عصيبة ، أستبد فيها القوى ، وسحق فيها الضعيف ، وأستعملت فيها الحيل

والذكاء لضمان العيش ، وقد يكون لظهور الالغاز الشعبية ، إسقاطات توضح الوضع المعاش ، مثلاً نجد العاجز عن حل اللغز ، يقول له . . واضع اللغز (سمي والا انكر عليك) ، وهذه العبارة تحمل مدى أستعباد العاجز وحرية التصرف فيه ، بعد أن عجز على إستخدام ذكائه ، أو يقال له (سمي والا نأخذ بلاد) ، وكأن الحيلة والدهاء هي الطرَيقة التي وصل الاستعمار بها اليهم واستبدهم بها ، هذه العصور التي ظهرت فيها الطبقية والتنظيم العسكري والرتب العسكرية وكانت بالنسبة لليبيين حلماً وعكسوها في اللعبة المعروفة ب (الكارطة) (ولعبة الورق) المسماة (لسكمبيل) والتي ينفرد الشعب الليبي بلعبتها وتسميات أوراقها ، والتي . . بعضها إن لم تكن كلها تسميات لرتب عسكرية ، وفيها يظهر التسلسل الطبقي والنزاع الدائم بين الحاكم (اللّصْ) بتشديد اللام و (التريس) وهي التسمية الليبية الوحيدة والتي يقصد بها في لهجتنا (مجموعة الرجال) والذين هم رمز الإغاثة عند الحاجة ، ونجد حتى وضع لاعبي (لسكمبيل) وتقسيمهم من رئيس حاكم مطاع وموجه ، آمر مخطط ، وجنود تحت إمرته أسمهم (البحرية) .

إن لفي هذه الأشياء مجتمعة تصويراً لفترة ، بلغت فيها مأساة الإنسان . . الليبي قمتها .

من سدينة الى أمل . .

سدينة . . كفاية . . مطاري . . رجعة . . مرزوقة . . سعيدة . . هنية . فتح الله . . راف الله . . جاد الله . جاد المولى . . جاب الله . . رزق الله . . عطية الله . . فضل الله .

وأحياناً (المشرى) بفتح الميم .

ماذا تعني هذه الأسماء ، وما هو مغزاها الاجتماعي ، وما الفارق بينها ، ولماذا ؟؟؟ .

الأسماء الاولى أناث ، والثانية ذكور ، بقي أن نعرف شيئاً عن الاسرة . .

الاول : له من البنات خمس ، ولا شيء من الذكور ، وزوجته الان على وشك الانجاب مرة اخرى ، تناهت الى اسماعنا زغرودة واحدة ، هدأ بعدها كل شيء ، سمعنا كلمات التهنئة ، أكثر المهنئات رددن (الحمد لله اللي سلمتي وخلاص) . . (ولد الحلال هو اللي تسلم بيه امه) ، تردد

ذلك كثيراً ، ولكن ثمة صمت رهيب ومعان كبيرة ترتسم على الوجوه ، كان التعبير معكوساً في الداخل .

أنفض الاحتفال بالمولود الجديد ، سألنا عن اسمه ، لكي نعرف بطريقة ذكية حذرة جنس المولود من خلال معرفتنا لاسمه ، فللأسماء عندنا دلالاتها ، عرفنا الاسم ، انه (سدينة) ، قبل أن يقرر الوالد وضع الاسم ، لم يدر بخلده البتة أي اسم متفائل ، بل تردد في الترشيح بين ، كفاية ، ومطارى ، وسدينة ، أخيراً . . استقر على تسمية ابنته (بسدينة) . اذن ما معنى سدينة في اللهجة الليبية ؟؟ المعنى يعرفه كل ليبي ، انه بالفصيح (يكفينا) ، ولكن هل عمنا (مجيحيد) لم يعد يرغب في الانجاب ؟؟

بعد عامين تقريباً عاشها العم (مجيحيد) وزوجته على مضض ، سمعنا زغرودة في بيته ، وتبعتها ثانية ، وثالثة ، النسوة هذه المرة لم يقلن (ولد الحلال هو اللي تسلم بيه امه) ، بل كانت عبارة التهنئة (مبروك عليك أشويشنك الجديد) خوفاً من العين ، ولكن اليس (للشوشان) قيمة ؟ ولماذا هذه النظرة للرجل الأسود ؟ انها بلا شك من مخلفات العصر الجاهلي .

ثم انه ليس شوشانا بل (شويشين) بالتصغير ، لزيادة الحذر من العين ، ولكن أي عين ستصيب المولود غير عيون المهنئات ، ولماذا لم تقال هذه العبارة عند الاحتفاء بميلاد (سدينة) ؟؟؟

على العموم لقد كانت فرحة (مجيحيد) وزوجته لا تعادلها فرحة ، بقي شيء واحد ، وهو اسم المولود ، اسمه (راف الله) ، لقد تبارك بالاسم ، اذن هو لم يقرر الابتعاد عن الانجاب ، وقد احتار بين الأسماء ايهما يختار ، راف الله . . رزق الله . . عطية الله ، أخيراً قرر ان يكون (راف الله) هو اسم ابنه الوحيد ، وبعد (راف الله) عرف الذكور طريقهم الى بيت (مجيحيد) ، وغطوا جميع الأسماء التشريفية ، وبعد ذلك انجبت زوجته بنتاً ، فكان اسمها (رجعة) ، ثم ولدا ، ثم بنتاً ، فسماها (مقبولة) .

لحظة . . لقد حدث تدرج غريب في تسميات ابناء وبنات (مجيحيد) . . تابعوا معي . سمى البنت سدينة ، وعندما انجب ولداً سماه (راف الله) ثم بنتاً فسماها (رجعة) أي عودة الى انجاب البنات ، وهذه مشكلة في نظره ، لكن عندما أعقب البنت ولد ، ثم بنت اخرى اسماها (مقبولة) أي مرغوب فيها ، ولكن لماذا مقبولة الان ؟؟

الجواب بالطبع ، انه رضي وقبل بالبنات ، بعد أن حصل على عدد لا بأس به من الذكور .

انه لتفاوت غريب بين الذكر والانثى ، انها نظرة سوداوية من مخلفات العصر الجاهلي ، انظر الى تفضيل الرجل على المرأة ، وانتهاءً من الاحتفاءات ، . . ومروراً بالاسم ، والمعاملة ، وانتهاءاً بالموت .

انه لمن النادر جداً أن نجد اسم رجل يدل على الضيق والتبرم ، والأسماء المذكرة تشهد على ذلك ، على تلك المكانة التي يحتلها الرجال ، ليس هذا فحسب ، بل وأحياناً نجد اسماء مثل (المشرى) ، وهذا الاسم جاء من عادة قديمة كانت موجودة بالمجتمع الليبي ، وفحواها ان الذي لا يعيش ابناؤه الذكور ، فبمجرد ان تضع زوجته ذكرا ، وتظهر عليه علامات المرض تحمله الجدة ، ام الوالد عادة ، وتطوف به البيوت هاتفة (من يشرى . . من يشرى) ، فتشتريه احدى العجائز ، والتي لها من الأولاد الذكور عدد كبير ، تشتريه بثمن رمزي ، ثم يطلقون على الطفل اسم (المشرى) ، . . وهذه العادة يعتقدون انها تبقي ابنهم على قيد الحياة ، بأن تجنبه الموت وهذه العادة توضح لنا مدى حرص الاسرة على أبنائها الذكور ، وحبها لهم ولو أطلعنا على الأمثال ، والقصائد ، والحكايات

الشعبية ، لوجدنا وضوح الفارق وعلى سبيل الاستدلال ، أسوق هذا المثل ، الذي يقول (حلاوة الذرية وليدين وبنيه) .

بقت اسماء اخرى يجدر بنا التعرض لها ، مثل الشخصية التي تعمدت اختيار اسمها ب (مجيحيد) ، ونحن نعرف معنى كلمة (مجيحيد) ، على انها تصغير لكلمة (مجحود) ، أي بمعنى لا ينبغي البوح به ، ان صح هذا التعبير او اقترب من ذلك ، وهنا تبرز أمامنا نقطة جديرة بالاهتمام ، وهي ما دام (مجيحيد) ذكرا ، فلماذا التكتم عليه ، وعدم التعبير على الفرحة به ، بأن يكون له اسم يعبر عن الفرحة والتفاؤل ، ولكن لو استقصينا السبب ، لوجدناه ، لا يخرج عن مؤثرين اثنين ، يؤثران في سلوك الليبي ، وأولهما (الحلم ، او (المنام) ، فمن الأسماء التي تشابه هذا الاسم ، جاء اختيارها تنفيذاً لأمر صادر من أحد الأولياء ، وأمروا به أحد الوالدين ، في المنام طبعاً ، لأن هؤلاء الأولياء من الأموات ، هذا مؤثر ، والمؤثر الثاني هو (الوراثة) وراثة الاسم ، فقد يأتي مثل هذه الأسماء موروثاً عن جد قديم يتصف بفضائل وأخلاق يحبذها المجتمع الليبي ، كالشجاعة ، والكرم والشهامة والاخلاق ، والجد بالطبع أما ان يكون قد ورث الاسم ، هو الآخر ، عن جده أو عمه ، او أحد اقاربه ، او ان يكون هو أيضاً مسمى

بأمر من أحد الأولياء ، في المنام ، الذي هو انعكاس نفسي لخلجات نفوسهم ، التي تعبر في منامها عن ارهاصات نفسية ، يلعب فيها المجتمع الدور الكبير ، قبل الفرد ذاته وأفكاره ومعتقداته ، فنفوسهم بالطبع تياهة الى حب الذكور ، فتجدهم حتى في أحلامهم يصغرون الاسم ، او يدللونه ، والتصغير في اللهجة الليبية يأتي أحياناً للدلالة على الحب ، وليس التحقير ، فحتى جحودهم له ، لم يكونوا راضين عنه كل الرضى كقولهم (ارويقد) و (اسويكت) تصغير (ساكت) و (اربيبي) تصغير (ربي) والله أكبر ، لا يصغر ، ولكن التصغير هنا للدلالة على الحب .

هذا لا ينفي وجود اسماء تحمل معنى متفائلاً وتطلق على النساء ، أو الأسماء المعتدلة على الأقل ، ولكن هذه أيضاً تلعب فيها وراثة الاسم الدور الكبير ، فقد ترث البنت اسم جدتها أو احدى قريباتها ، التي لم يكن لوالدها عدد كبير من البنات فيأتي اسمها معقولاً ، أو ان تكون تسميتها جاءت من أحد المشهورين بالتقوى ، والورع الديني ، أو ما نسميهم (بالفقهاء) ، فتكون الأسماء : مريم .. عائشة .. زينب .. خديجة .. فاطمة .. خديجة .. حليمة ، وغيرها من أسماء التابعات ، ولكن رغم ذلك وفي الغالب الاعم نجد

اسم الانثى لا يصل الى مرتبة التكريم التي يحتلها الـذكر في المجتمع الليبي القديم ، فأن حاولوا الانصاف قليلاً أو الرضى بالانثى ، فانهم يتفاءلون لها بالسعـادة والهنـاء ، فيسمونهـا ، أما : هنية أو مسعودة . . أو سعيدة ، وغـير ذلك من الأسماء التي تحمل نفس المعنى ، والتي تدل على ايمان الليبي بالفال أو الحظ ، حسنه وقبيحه .

ان المرأة في المجتمع الليبي القديم خاصة ، تعتبر مشكلة ، فالأب لا يرتاح ، وكذلك الأم ، حتى يتم لابنتهما الزواج ، بل وان طال بقاؤها في البيت يعتبرونها عالة على الاسرة ، الأمر الذي يدفع الام الى زيارة أضرحة الأولياء ، او استعمال السحر الذي يعتقدون الليبيون فيه بشكل غريب .

وهذه الأساليب تلجأ اليهـا الاسرة في سبيل تزويج ابنتهـم العانس ، وهذا بالطبع تكون له انعكاساته النفسية الخطيرة على الفتاة ، فنجدها نفسية حائرة ، خاصـة اذا ما فشـل زواجهـا الأول ، مما يجعلها تشعر ويشعر أهلهـا معهـا بأنهـا سوف لن تتزوج ثانية ، لأنها لم تعد صغيرة ، فتعتبر مشكلتهـا غاية في التعقيد ، ان هي عادت مطلقة ، وقد انجبت .

والمرأة العانس تتمتع بعطف الأم ، والنساء قريباتها ، وهي تحـب ابنتهـا أكثـر من ابنهـا ، ولعـل لذلك دوافـع نفسية ،

كالاحساس بمكانـة المرأة المهانـة من المجتمـع ، يقـول المثـل الشعبي ، مصوراً حب الهجالة لابنتها (ضربة الهجالة البنتها) (والهجالة) أي التي فشل زواجها الأول ، ولم تتزوج بعده ، تغـدق على ابنتهـا حنـواً غريبـاً ، وهذا لا يعني الابنة دون الابن ، بل ابـن (الهجالـة) هو منـاط آمالهـا ، يقـول المثـل الشعبي : (عند جنيني نسى ديني) ، وليس الابن فحسب ، بل حتى الأخ ، والحكاية الشعبية المسماة (البنـات السبعـة) تصف ذلك ، وتوضـح معـان اجتماعية تناولناهـا في هذا الموضوع .

وهذا الوضع السيء الذي عانته المرأة ، مرده الى انها ـ أي المرأة في المجتمع الليبي القديم ، ما هي الا مشكلة ، غالباً ما تأخذ الكثير ، وتعطي القليل .

وقبل أن نبدأ في بحث الموضوع ، نترك الأمثال ، وحدهـا تصف مكانة المرأة ، والظروف التي عايشتها :

* من يشكر العروس الا امها وخالتها . .) ، هذا المثل ، يصور الدعاية بالثناء ، التي تغدقها أم العروس ، وخالتها ، في سبيل أن تتزوج العروس .

* خافـن يا بنـات) . . (أضرب القطـوس . . تخـاف

العروس) ، وهذا نتيجة الاعتقاد أن المرأة ، لا بد أن تتعود على الخوف من البداية ، لأنهم يعتقدون ، انها لو نالت حريتها ، سوف لن تفعل الا الشرور ، وينبغي عليها الا تناقش ، ابداً ، وان لا ترفض طلباً ، وان تقف أمام زوجها ذليلة مطيعة ، وان يكون الرأي والقرار له وحده ومن الأمثال التي توضح الحرص على اختيار المرأة الشريفة المضمونة النسب ، قولهم :

* (خوذ بنت عمك وما تأخذش بنت عم الناس)

* (البنت امّ والثوب كم) ، وفلسفتهم في ذلك ان بنت العم ، تعرف حقيقتها أكثر من غيرها ، وهذا بالطبع عنصر من عناصر الترابط القبلي ، وبالتالي ترابط المجتمع أما في المثل الثاني ، فالمقصود أن الزوجة يمكنك معرفة مميزاتها ، بمعرفة اخلاق ونسب امها ، فكما تفعل الأم تفعل البنت ، فالأم في المجتمع العربي عامة والليبي خاصة ، شديدة الالتصاق بابنتها وصريحة معها ، فهي ترشد وتوجه ، وتنصح وتحذر وتحاول دائما ان تظهر ابنتها بالمظهر المستحب واللائق من المجتمع ، وسنرى ان هذا التدخل من جانب الام استمر حتى بعد زواج الابنة ، الامر الذي ادى الى عواقب وخيمة في مجملها .

ومن الأمثال التي تصور حرص الأم على ظهور ابنتها بالمظهر

اللائق ، المثل الشعبي القائل :

* (ام الهبلة تموت وهي تعض في شواربها)

وهذا المثل ، يشكل مع مثلين آخرين الوضع الاجتماعي لكلا الجنسين ، الرجل والمرأة ، والمثلان هما :

* (الزاطلة تخبر بليلة عرسها)

* (المرا حرقّة لو كان جايبها الوادي)

ففي هذين المثلين ، نجد المرأة بحرصها على الزواج ، فهو بالنسبة لها مطلب حيوي ، ومصيري لا غنى عنه لها ، لأنها تعايش وضعاً اقتصادياً له الاتصال . . الوثيق بزوجها ، وهي محتاجة اليه باستمرار ، وقد يتحكم في حاجتها ، ويقتل حريتها وحتى طرق الكسب التي تناسب المرأة كانت معدومة في مجتمع بدوي ، يعتمد على الزراعة والرعي ، وهي أعمال تناسب الرجل فقط ، ثم ان العادات والتقاليد لا تسمح للمرأة أن تعمل اذا افترضنا توفر العمل بالنسبة لها في المجتمع الليبي القديم ، ومن هنا كانت حاجة المرأة الى الزواج ملحة أكثر من عصرنا هذا ، ومن هنا ايضاً كانت الأسباب الكامنة ، وراء تفضيل الرجل على المرأة في ذلك الحين وقد رأينا كيف صور المثل فرحة العانس بليلة عرسها ، بأنها عارمة ، حتى انها

أصبحت حديثها الدائم الـذي لا تمله ، أمـا المثـل الثانـي ، فيعكس حرص الام على كمال ابنتها ، فوصفهـا بانهـا تعض شفتيها غيظـاً وكمـداً ازاء كل تصرف غـير متـزن يصـدر من ابنتهـا ، هذا التصرف الـذي يكون من شأنـه عرقلـة زواج ابنتها ، في مجتمع يحترم الاتزان والتعقل ، وتعتبر نساؤه اداة التـوصيل والتسـجيل والنشر ، لكل مقـدم على الـزواج من الشباب ، والذين يبدون من المثـل الثالـث الـذي نسـب الى (جحا) انهم يتبنون ما جاء فيه ، ويستشهدون به في حالات نفسية عارضة،معبرين عما يحتاجه الزواج من تكاليف باهظة ، مثل غلاء المهور الذي جاء نتيجة طبيعية ، فنظراً لعـدم قدرة المرأة في الاعتماد على نفسها في تسيير امورها ، فان المهر يعتبر كضمان للمرأة ، ورصيد تحتاج اليه متى حدث الطلاق مثلاً ، في عصر انعدم فيه الضمان الاجتماعي ، ولذلك نجد أن المهـر يزداد بازدياد وضـع المرأة الاسرى ، اذا كان وضـع الاسرة الاقتصادي مهزوزاً أو كان عائلها متوفياً ، وهلم جرا .

وهذه الزيادة في المهر لو سلمنا بانها تحمي جانباً او جزءً من المجتمـع ، فان . . هذه الحماية تكون على حسـاب الجـزء الآخر ، وهو الشباب ، وهذا المثل القائل : (المرا حرفّة لو كان جايبها الوادي) والذي احتوته شخصية (جحا) المرحة والتي

البسوها دور المؤلف لكل أدبهم الفكاهي ، هذا المثل كان انعكاساً لغلاء المهور الذي أصبح عادة ، توارثتها الأجيال ، وأخذت طابع التظاهر ، اذ ليس من مبرر لها الآن ، اذ ان المرأة أصبح في امكانها ضمان عيشها باعتمادها على نفسها او على هيئات الرعاية الاجتماعية ، فمن الواجب والمنطق ان تنتفي الان كل هذه المعوقات التي تقف في طريق الزواج .

ومن هذه الأمثال نتبين رغبة المرأة في الزواج ، وريبة الرجل منه ، ثم دور الام في تزويج ابنتها ، هذا الدور الذي يبدأ بالدعاية ، ويستمر حتى يكون تدخلاً سافراً في شئون الابنة الأسرية عند زواجها ، هذا التدخل الذي يضيق به الزوج ذرعا ، فتكون نتيجته تقرير الطلاق ، والذي قد لا تكون الفتاة راغبة فيه ، ولكن تلبية لرغبة امها ، أو والدها ، فالفتاة ليس لها حق ابداء الرأي ، ونتيجة لهذه الوصاية ، وهذا التدخل ، كان الطلاق شائعاً بشكل خطير يهدد سعادة المجتمع يقول المثل :

* (ايش ايفكك من نسيبتك الدواية ؟؟ . . . طلّق بنتها) .

ومثل آخر يقول : (لا تجاور نسيبك ولا تأمن طبيبك)

ولذلك فالفتاة ترى في بيت والدها ملاذها الأول والأخير ،

نتيجة لكونها عالة اجتماعية ، لأنها لا تستطيع ان تستقل اقتصادياً ولا اجتماعياً ، يقول المثل :

* (يا بيت بوى ما عليك غنى) .

ان المرأة لا يمكن لها العمل حتى تضمن استقلالها ، بل ان خروج المرأة الى العمل اذا افترضنا توفر العمل في المجتمع الليبي البدوي آنذاك ، اذا افترضنا ذلك فان العمل بالنسبة لها يعتبر خطيئة يستهجنها العرف الاجتماعي ، ويضعها في محط الشبهات ، وهذه نقطة يمكنها ان تعلل نظرة المجتمع الغير عادلة في حق المرأة والذي امتد حتى شمل اسمها أيضاً ، ولا نجد لها تكريماً الا في أغاني (العلم) و (المجاريد) التي تركز على حسن وجهها ، وجمال مشيتها ، ولطافة جنسها . . . . ليس الا .

وعلاوة على الأسباب السالف ذكرها ، والتي من خلالها فضلوا الرجل على المرأة فان من الأسباب الرئيسية ايضاً حاجة الاسرة الماسة الى الرجل أكثر من المرأة نظراً لطبيعة المعيشة والتي تتطلب عدداً كبيراً من الرجال ، حتى يقوموا بعبء المسئولية من كد وكسب ، تقول الاغنية الشعبية :

(يا ريت خوتي ثلاثين . . . . وأولاد عمي بزايد)

(لا نأكلوا لقمة الدين ولا . . . . نلبسوا جرد بايد) .

ثم ان للرجال دورهم في حماية القبيلة ، وكثيراً ما تفخر الاسر ، والقبائل بعدد رجالها ، يقول المثل الشعبي : (بيت رجال ولا بيتَ مال) .

بعكس المرأة والتي هي محدودة الوظيفة ، فهذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلتهم ينظرون الى الجنسين كل بمنظار يختلف عن الآخر ، وهذه النظرة منبعها وضع اجتماعي له ظروفه وملابساته ، وتحكمت فيه عادات وتقاليد خاطئة ، ووضع اقتصادي لبيئة ريفية ، ورغم ذلك فقد كان للأسرة الليبية والمجتمع الليبي عامة ترابط جيد ومطلوب ، وهذا الترابط الأسري والذي انعكس على الترابط الاجتماعي عامة ، مرده الى اشراف الام على أبنائها مباشرة ، وادارتها لشئون بيتها بنفسها ، وعلم النفس يقول : ان لرائحة الام وحدها أثر كبير وفعال في تنشئة الطفل وتشكيل شخصيته ، ناهيك عن الأشياء الضرورية الاخرى ، كالاشراف على راحة أطفالها وزوجها .

ولكن لم يكن للمرأة ما يضمن مستقبلها وحريتها ، اذ ان انعدام التعليم آنذاك وانعدام مجال العمل بالنسبة للمرأة ساهم في تعتيم مستقبل المرأة وجعلها ترضخ لاستبدادية الرجل .

واشراف المرأة على شئون اسرتها بنفسها شيء جميل ، علينا الابقاء عليه ، مع ضمان ما يكفل للمرأة معيشتها وحريتها كي لا يتحكم الرجل في حاجتها بأن يستغل احتياجها اليه أثناء وجودها معه ، وحتى يمكنها العيش بعد طلاقها ولعل اقتحام المرأة لميادين العمل شيء ضروري ، وممارسة حقها في التعليم ضمان لأعتمادها على نفسها ، اذن فعلينا توفير العمل المناسب لطبيعة المرأة من حيث الوقت وطبيعة العمل حتى نضمن اشراف المرأة على بيتها بنفسها ، وحتى لا نكلفها بما لا يناسبها .

والآن ونحن في وضع اقتصادي متين ، واجتماعي عادل ، لا يجوز مطلقاً ان نفكر بعقلية العصر القديم ، فلا بد ان يكون تخطيطنا وتفكيرنا وليد التطور ومتمشياً معه ، مثلاً ما الذي يدعونا الى اغلاء المهور ، فلا وصاية على المرأة الآن وليس لاحد الحق في أن يضمن مستقبلها ، بل هي التي تصنع مستقبلها بنفسها فالاتكالية قتل للحرية .

ونحن نريد للمرأة ان تتحرر ، فترفض وتقرر ، وتكون قطباً فاعلاً في حركة المجتمع حتى تكون الوثبة الثورية كاملة الجوانب ، ولكن هي تقود نفسها الى عصور استبدادها ، التي حبست حريتها ، فلماذا تقف المرأة من نفسها موقفاً سلبياً بل

ومن وطنها ، لماذا تعتبر كل أملها وخير وسيلة لضمان مستقبلها هو الزواج ؟؟

ان أكبر همّ كل فتاة اليوم هو ان تتزوج ، مفوضة أمر مستقبلها الى الرجل ، ليس لوطنها عليها حقاً ، بل حتى نفسها ، فهل نسيت ان الاعتماد على الرجل قتل لحريتها ؟؟

ان الفتاة اليوم تنقطع عن التعليم ، وتقتل في نفسها الطموحات ، وكل ما من شأنه ان يضمن لها مستقبلها ، وحريتها ، وتكتفي بأن تتزوج ، وكأن بعد الزواج لا مسئوليات عليها ، فلماذا لا تغير المرأة من نظرتها هذه ، وتنصف لمجتمعها الذي غيّر من نظرته اليها ، واعتبرها نصفاً حياً لا يمكن الاستغناء عنه ، لقد انصف لها المجتمع في كل شيء ، حتى في اسمها ، فمن (معنى مطارى) الى . . (منى) ومن (كفاية) الى (هناء) او (نعمة) ومن (سدينة) الى (أمل) ، ولكن هل حسمت المرأة القضية ؟ ؟ ؟

كلا . . القضية لم تحسم .

نظرة الشعراء الشعبيين للغزو الايطالي

أي حركة استعمارية لا بد وأن تنفذ لشتى القيم ، وأن تغرس أظافرها السامة في مبادىء وعقائد من تريد إذلاله ، أي أن تبدأ بنسف الانسان من الداخل وبشتى الوسائل ، رغبة منها في صبغة الأهالي بصبغتها الآثمة .

وهذا ما حدث للشعب الليبي إبّان الغزو الايطالي الفاشستي ، عندما تعرّض هذا الجزء الغالي من الوطن العربي ، لافتراس الأيدي الآثمة ، والتي افترست ايضاً باقي دول العرب في ذلك الحين .

ولو القينا نظرة على حالة الأهالي الدينية في ذلك الوقت ، لوجدنا ان الصبغة الاسلامية لم تزل في أوج كمالها ، وكذا النخوة العربية ، والعادات والتقاليد ، والخصال الحميدة ، كالكرم والشجاعة ، والدفاع عن الجار ، ونصرة المظلوم ، وعلاوة على ذلك قوة الايمان ، وهذا ما نلمسه واضحاً في التراث الشعري الشعبي الليبي فكان فخر القبيلة ، هو توفر

هذه الصفات ، والتي كثيراً ما امتدحها الشعراء ، ووصفوا انفسهم بها فخراً ، يقول الشاعر الشعبي (صالح بومازق) :

الـــلافي وصبّــرة قوم بوي وجدّي
رواق بيتنــا ليلــة طروا خطارة

الــدايم الله ضرابــة المتعدي
على شان جارتهــم على نثارى(*)

فرغم ما في هذا البيت من فخر بالأباء والأجداد ، وحسن شمائلهم ، فقد حوى ايضاً قوة الرابطة بين الاسرة والقبيلة ، وهـذا الترابـط الاجتماعـي ، هو الــذي حاول المستعمــرون طمسه ، بل نزعه من قلوب الثوار المسلمين .

واذا كان هذا الواقع الاجتماعي والديني ، فماذا عن الواقع التعليمـي والوعـي ؟ لا يعـرف الليبيون في ذلك الحـين تعليماً منهجياً منظماً ، والشيء الوحيد الذي تطرب قلوبهم لتعلمه ، هو القرآن الكريم ، وكتأثير لذلك نجد الشاعر الشعبي يقول على البديهة ، فيجيد القول ويؤثر في سامعيه ، فتحس وكأنه قد تزود بعلوم العصر من فلسفة ، وبيان ، وعلم نفس .

* نثارى : انفه .

استمع الى هذا العالم النفسي القائل :

(أحوال ايبكن أحوال ع اليمين وع اليسار ايتكن . .

(أحوال خلفن عقدات ما ينفكن باب النجا منهن الله ايجيبه)

وهذا البلاغي الذي يقول :

(وين ما نجي للمرمى
نبقى انزازي كي رضيع الصرّمة)

والمرمى : موقع قرب التميمي ، والصرّمة : مرض يصيب الطفل الذي يتمكن من الرضاعة بعد فطامه ، فشبّه الشاعر نفسه بالطفل الذي انفطم عندما ابتعد عن أمه (المرمى) ، وقد تمكن من الرضاعة بعد فطامه أي عندما عاد فأصيب بهذا المرض والذي يتمثل في اللوعة وتصاحبه تشنجات وصراخ . والقصائد الفنية كثيرة ومتشعبة ، وليس هنا محل التعرض لها ، فهي تحتاج الى دراسة موسعة ، نبين فيها أثر اللهجة الليبية ، والتي تتصف بالقوة في التعبير ، كما انها غنية بالمفردات ، وأثر ذلك في بناء القصيدة الشعبية ، ولكن كما قلت ليس هذا غرضنا الآن ، وانما الغرض ، كيف نظر الليبيون الى الغزو الايطالي ، وأهدافه ، و ؟؟

لقد رأى الليبيون في الغزو الايطالي غزواً يبغي الدين قبل الدار ، ولقد وجد الصليبيون أمامهم قوة ايمان واعتزاز بالقومية العربية ، فحتى المسلم الذي يفتقد لخصال الاسلام ، رفضوه ، وهذا ما نراه واضحاً في قول الشاعر (فضيل الشلماني) :

(دايرين بي دريو والوردية
هو ذيل من غادي وهم كفار)

و (دريوّ) هذا هو أحد الأشخاص الذين تعاونوا مع الايطاليين، فلم تكن فعلته هذه مفاجئة منه حسب ما يقول الشاعر ، ولكنه شيء متوقع فهو من اذيال العرب المسلمين كما عبّر الشاعر عن ذلك بقوله (هو ذيل من غادى) وهنا يتضح أمامنا إحدى الأشياء التي عمد الصليبيون الى فعلها ، الا وهي تشتيت وحدة العرب والاسلام ، عن طريق تجنيدهم ضد بعضهم البعض ، للعودة بهم الى المناحرات والمشاحنات التي قضى عليها الاسلام ، ورأوا انهم لن يتأتى لهم ذلك ، الا بضرب الدين الاسلامي ، ولكن الشعراء الشعبيين كانوا على درجة كبيرة من الوعي لأهداف هذه الهجمة ، وهذا راجع الى أن أكثر الشعراء الشعبيين والذين سنتناول شعرهم بالدراسة ، هم من حفظة القرآن الكريم .

وسأستعرض هنا أبياتاً من قصائد شعبية تحذر من الهجمة ، وترى فيها مساسا للدين والعقيدة ، والقومية .

يقول (خالد ارميلة) :

رسم سوق بين النقط عالديانة   مرفوع شأنه يوم نصر من عند واسع اذهانه)

والمعنى ، انه حدثت معركة بين الصليبيين والمسلمين كان النصر فيها حليف الاسلام ، بالارادة الالهية ، ولأنهم اصحاب حق .

وبهذه النفسية التي حررها الاسلام من الخوف ، لم ينجح الصليبيون في طمس الاسلام ، يقول نفس الشاعر :

(وفي نجعنـــا ما زال لاذان والقرا
بالـــدرس وكلام الله والـــع فقيرها) .

أي انه رغم كل المحاولات ، فالقرآن لا يزال يتلى ، والأذآن يدوى ، وبدروس تعاليم الاسلام تحفل منتجعاتنا . فلا تفريط ولو في قاعدة واحدة من قواعد الاسلام والشاعر خالد ارميلة من الشعراء الذين فطنوا لمرامي الهجمة ، فهو القائل :

وحــق افارز الــدين ما لروم
وكل شيخ مرفــوع شأنه
وفــارض الصلــوات والصوم
علي عابــدين الديانة
وحاســب النهــارات باليوم
وكل يوم مشهــور وانه

وهذا البيت ، وأبيات كثيرة في الشعر الشعبي ، يَذكرني بأيات من القرأن الكريم وهذا يدل على خلفية شعرائنا الدينية .

ومن القصائد المقاتلة ايضاً ، قول الشاعر (خالد ارميلة) :

صاريوم في بلال غابن عذاره وعاد بالغدارة
لجواد يدكموا في صدور النصارى

أي حدث يوم من أيام مقابلة الصليبيين ، غاب فيه العذر فكل ذي عذر حضر ، أي لم يعفَ من هذه المقابلة أيٍ كان ، وهنا إشارة الى ان الجميع هبّوا لمواجهة الغزو ، وهؤلاء الذين حضروا هم (الأجواد) أي أصحاب الجود والشجاعة الذين بدأوا في دك صدور المعتدين أي مقدمتهم ، وهذه كناية عن شجاعة المجاهدين والتحامهم وعن قرب بالصليبيين .

اذاً لم يكن للهجمة أي تأثير ، لا على الدين ولا على الفضائل الاسلامية ، فالتمسك بالدين وأوامره الحميدة ، لم تزل قائمة ، يقول الشاعر (حسن لقطع) :

لا ناكل المسروقة
ولا نطارد اللي في السبب ملحوقة
انمني بصبر واللي
صابره مرزوقة
حتى لو بطا
خير الكريم أقريب
طعام الجفا نقذاه
قبل انذوقه
منظوم عا لعصر
عايش معاش ايخيب
رحمة الخالق ما
تجي من فوقه
علي زرعه اللي
زارع الشر اتغيب

واضح من الأبيات الفوقية ، الصفات الاسلامية ، اما البيت الأخير ، فيقول لنا بالحرف الواحد ان الرحمة لا تأتي من

شخص آخر غير الله ، فهو الذي بيده الخير والشر .

وهكذا نرى ان الوعي لبغية الاستعمار كان جيداً للغاية ، فقد تناوله كل الشعراء الشعبيين الذين عاصروه ، لأنهم يؤمنون ايماناً لا يتزعزع بأنهم أصحاب مجد وعزة وحضارة منذ أقدم العصور ، وان الاسلام ، هو الذي كان وراء تقدمهم ، وها هو الشاعر (حسين لحلافي) يذكر أمجاد الاسلام الغابرة ، ويستنهض بها همم المجاهدين ، فيشحذ عزائمهم لملاقاة العدو :

أحوال حولن لسلام نين غبنّه
بعد صولته ما عد عدو يدويبه
اللي كان في ما فات وأخذ طنّه
حكم لندلس وأوطان موش قريبه
في قرطبة واشبيليا طاعنه ويا ما
رفع فيهن الصوت خطيبه
ويا ما حكم فيهن بنص السنه
وكل من يخالفها السيف نصيبه
ويا ما مكاتيب الخليفة جنّه
ويا ما قروهن يرجفوا ما الهيبة

ما هنـــاك شي مطـــرح ولا خشنه
جيوشه اللي كانــن اشــوى في طيبه
نين الحـكايم كلهـن هابنـه فرانسا
ودولـــة طاليا الغضيبة
في وطنهـــن تمـــن كرايس منّه
محادينهـــن واطـــي مقـــام صليبه

هذه هي دولة الإسلام يوضحها الشاعـر بورع تام ، ويذكر امجادها ، ويذكر ايضاً ان الصليب كان في المقام الأسفل ، كما هو وارد في البيت الأخير .

وبهذه الأبيات حاول الشاعر شد عزائم اخوته المسلمين ، فيجتمعون تحت راية واحدة من أجل هدف يهمهـم جميعـاً ، وبذلك لا يكون لتمزيق الروابط الاجتماعية التي عمـد اليهـا الاستعمار أي تأثير ، بعد أن ارادوا بحربهم هذه طمس فكرة الوحدة العربية والقومية العـربية ، بل والوحـدة الاجتماعية ، ولكن لم يستطع الصليبيون تحقيق ما يرمـون اليه ، بل أعلن الشعب الليبي تمسكه بالوحدة العربية ، وعبّر عن ذلك الشاعر (حسين لحلافي) بقوله :

وتعمّـر السـكة ما الغـــروب ومكة
لا عد شبـــردق لا هنـــاك حدود

ويذكر اخوته في (مصر) بقوله :

القيت خوت نا مانـــي نزيل
الهــم في العنــا والكبارة
للقانهــم قبلــوا جميل علي
مــن جــلا مـــا النصارى

كلمة (نصارى) ترددت كثيراً على السنة العامة ، والشعراء الشعبيين ، كما في هذه الأبيات للشاعر (حسين الحلافي) :

ويعمـد الشبــرم نــين فيهــا ايبرم
ونلقـوا النصــارى جيشهـم مطرود

ويقول الشاعر (مـوسى حمـودة) يرد على الشاعـر رجـب بوحويش :

حبسـك اللي صار لك ما لنصارى
عندي أخباره شي شر ما لموت ما هو
موارى

ويقول شاعر مجهول :

علينــا شروطــات النصـــارى تمن
وصاحــب الوقــت الله كريم ايجيبه

وفي المقابل جاء ذكر الاسلام في عدة قصائد ، وعلى لسان عدة شعراء ، :

(وهذي مزنة فوق جمل العرايب اللي نشتكيله
تضـعيف دين لسـلام ما يرتضيله) .

وهنا الرفض واضح ، فالجميع يرفضون أن يُهان الاسلام .

ثم يبشر الشاعر بعودة الاسلام الى قوته وعزته الغابرة ، فيقول :

وينوض عون وينوب عندك النايب
ميلـة اميلـة وايجـي قنـو لسلام
زاكي ابحيلة .

ويجي قنو لسلام بالحيل زاكي ويصير الدعاكي
ويبقـى الضرب تكميد فوق التكاكي

هنا يضع الشاعر المسلمين في كفـة ، والصـليبيين في كفـة اخرى ويرجح الكفة الرابحـة بالكفـة الاسـلامية ، ويحـدث الهـرج والمرح ويكون الطعـن في الأمـاكن القاتلـة (فـوق التكاكي) و (التكة) هي الخيط الذي يربط به السربال في الزي الليبي .

كذلك يأتي ذكر الاسلام على لسان الشاعر (حسين الحلافي) الذي يقول :

يا طرابلس شورك أيامك ما لن
حازك عدو للدين ما يساكن .

ويقول الشاعر (صالح بو مازق) :

طالن علي لسلام هالعلايل
يا رحيم يا رحمن عفوك مدة
يا واحدا عزك وذلك شايل
نوارة اسلامك زامطين الغدة
غيث اسلامك ما عليك خافي
وحالهم قدامك

ويقول (فضيل الشلماني) :

ينصر الله اعلام لسلامية
ويجيب الهلاك الفية الكفار

والشاعر (فضيل الشلماني) من الشعراء الذين طالبوا بالوحدة العربية ، فهو القائل :

الدنيا قديمة للعرب فراقة
ان زهيت ايام ادور بالتنكيد

ففي هذا البيت نلمس تأثر الشاعر بفرقة العرب وتشتتهم ، واثبت دليل على وعي طيب من الشاعر لما تتعرض له القومية العربية من تمزيق .

من هنا نستنتج ان الصليبين لم ينجحوا في اخضاع الليبيين لارادتهم ، بل لم ينجحوا حتى في ضرب قيم الليبيين واباء نفوسهم ، رغم ان الفاشست لم يتركوا فعلة تمس الدين والوقار الا وفعلوها ، حتى انهم كانوا يحلقون لحي المجاهدين الذين يقعون في الاسر ، كما جاء على لسان الشاعر (فضيل الشلماني) في قوله :

لوهم النصارى كلهم في حارة
خلوهم جضارى حالهم تعبان
حتى ونا معاهم شاطني مطراهم
تزيينة لحاهم غيبة لذهان
اسماح المسايل هل البيت الخايل
ركابة عريض الصدر بو مسلان

إن هذا الذي يتمسك بوقاره وحشمته لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يفرط في دينه ، بل كان الرفض حتى لملابس الصليبين العسكرية ، وهذا ما ذكره نفس الشاعر في قوله :

يا بعـاد ما علمتـوا اللي صار عندنا
كسـوة لعـادى فوق من عثمان) .

وفي هذا البيت نجد ان هَمْ الشاعر ومشكلته تتمثل في ان يلبس صديقه (عثمان) الرجل المسلم الشهم بدلة أعدائه التي تحمل شعار الفاشست رغما عنه .

ان الخصال الحميدة والخلق الاسلامي النبيل لم تزول ، بل بقيت يذكرها الشعراء ويفتخرون بها ، ويقفون للذود عنها ، لأنها تمثل شخصيتهم وتمثل عراقتهم ، يقول أحد شعرائنا :

ونشني بعيت رفـاد سمحـين الوتا
مناعـة اللي خايف ذرا البردان
وقـول لهـم (حسـين) تعيش لله
ما خذا واللي بقي ما الحـي للفنيان

الـدايم الله يا كامـل العـرف والـ
ـبها لذيذ الطبـايع ما علينـا هان
تراسـا ايرد القـوم في ساعـة البلا
ودك ايجـي فازع وهـو عريان
يا عز ضيف الله في الـكرب والـ
ـرخا يا بو فريقـا يشبـع الجيعان

في البيت الأخير يذكر الشاعر ان اكرام الضيف يقوم به الشهيد (حسين) في حالتي الكرب والرخاء أي انه لم تثنيه الشدائد عن اصالته .

ويقول الشاعر (محمد زيدان)

يضرب نين دمه جا رغاوي
خايف من لحوق الذامات

هكذا كانت قوة الايمان سلاحاً فتاكا شهره أجدادنا في كفاحهم ضد اعداء دينهم الذين حاولوا أن يطمسوا اصالتنا وتراثنا وديننا وحضارتنا ، ولكن الغزاة رجعوا خائبين .

وهكذا كانت الكلمة جنباً الى جنب مع الرصاصة ، بل كانت هي الرصاصة في قلوب الأعداء ، وهي البلسم للقلوب المفزوعة الذبيحة ، فكانت هي القوة الشاحنة . . . في سبيل الصمود والتضحية .

لقد كان شعرنا الشعبي ديواناً حياً نابضاً ، صوّر أعظم التضحيات وسجل أروع المواقف في سبيل نصرة الدين والوطن ، وبرهن على مدى الوعي الفطري الذي كان يتعلمه أجدادنا من القرآن الكريم ومن الحياة ، وما هذه الا قصائد قليلة من ذلك الديوان الكبير العميق ، وما هؤلاء الا قلة قليلة

من فرسان الكلمة المجاهدة الذين أجادوها فناً وصدقاً ، فثمة جنود للكلمة مجهولون ، مثل الشاعر الكبير (حمد مصطفى اجفيلة) الذي تعرض للاعتقال في العقيلة ، وكتب ارق القصائد الصامدة منها مشاركته في قصيدة (ما بي مرض) ، ولكن اسمه لم يذكر الى الأن إلا على السنة من عاصروه ، ولكنه ظل كغيره من الجنود المجهولين رمزاً باقياً وروحاً خالدة بذلها في سبيل نصرة الدين والوطن .

دافع آخر للجهاد

ثمة خصال عربية أصيلة شكلت دافعاً بارزاً ، دفع بالليبيين للإستماته في قتال الأعداء الايطاليين ، وهي تتمثل في عزة النفس ، والعرض والشجاعة وحماية الجار ، وحب الخيل والابل ، والتفاخر بالحسب والنسب للدرجة التي أصبح فيها التعصب للقبيلة شيئاً ضرورياً ، حتى أن القبيلة الواحدة . . يقسمونها الى (عمائر وبطون وافخاذ)[1] ، وهذا التقسيم ناتج عن محاولة تملك الأراضي واستغلال الأبار ، ومن له الأحقية في ذلك ، وهذا يتطلب بالطبع معرفة جدّ كل قبيلة ، بل كل بيت منها ، وبذا لا نغالي إذا قلنا ان الكثيرين من الليبيين القدماء وضعوا أُسساً لعلم النسب ، ولكن هذا التعصب ، وهذه التجزئة أدت إلى حدوث نزاعات قبلية ، تكون أحياناً اسبابها واهية ، فقد يحدث الأقتتال من أجل (كلب) ، أو

---

(1) : محمد رجب الزائدي / قبائل العرب في ليبيا : ص(15)* المدنة : المكان المدمر على أثر وقوع المعركة .

حتى مجرد كلمة تخدش الكبرياء ، أما القتال من أجل الإبل ، فذلك يُعتبر من الأسباب الرئيسية الاولى ، هذا إذا لم ينجح مشائخ القبيلتين المتنازعتين في حل النزاع بالطرق السلمية ، أما إذا فشلت محاولات التسوية هذه ، فإن رقعة النزاع تتسع ويكثر أطرافها ، وينضم الى القتال من القبائل الاخرى كل من له تحالف أو صلة نسب ولو بعيدة مع الطرفين المتنازعين ، كل في صف .

ولكن هذا التوحد نجده يختفي أحياناً ، فقد يحدث النزاع بين بيتين من قبيلة واحدة ، ولكن هذه القبيلة تتوحد إذا ما تعرضت لغزو من قبيلة اخرى .

وقد رأينا كيف توحدت القبائل الليبية جميعها ، ووقفت صفاً واحداً ضد الغزو الصليبي الايطالي ، وأصبح لهذه القبائل أسماً واحداً هو (المسلمون) ، ثم أن غريزة حب الإباء والتفاخر بالشجاعة برزت في شكل تنافس بين القبائل الليبية من أجل الدفاع ضد العدو المشترك ، لأن العدو لم يحابي قبيلة ويعادى اخرى ، ولأنه ساق الإبل والخيل ، وجرح كبرياء العرب المسلمين بأن أعتدى على نسائهم ، وشتت منتجعاتهم ، وأنتقص حرياتهم ، وداس المقدسات الاسلامية ، وذلك كله لا يرتضيه العربي أبداً ، فالإعتداء على

النساء فقط عار ما بعده عار ، وحتى صرخات استغاثتها ، مستجابة دوماً من العربي ، والتاريخ العربي الإسلامي حدثنا عن ذلك .

يقول شاعر شعبي يحدثنا عما رآه فأثر فيه :

ما بي مرض غير ضرب الصبايا وجلودهن عرايا

ولا يقعدن يوم ساعة هنايا

ولا يختشوا من بنات السمايا أبقول يا رزيلة

وعيب قبح ما يرتضى للعويلة

هذه الأسباب مجردة من أي معنى أخر ، كانت سبباً رئيسياً دفع بالليبيين الى الدفاع والإصرار على دحر العدوان ، فما دامت القبيلة الواحدة . . . تنقسم الى شيع يقوم بينها التناحر ، من أجل أسباب واهية ، فليس من المستغرب أبداً أن تقف هذه القبيلة في وجه محتل يبغي الدين .

هذا وسوف نركز في هذه الدراسة على هذه الدوافع ، التي يتصف بها الليبيون ويدافعون عنها ، قبل دفاعهم عن أي شيء أخر ، وأول هذه الأشياء ، وأهمها هي

(1) **الأبل:**

قد لا نبالغ اذا قلنا انه لا يوجد شاعر واحد ، لم يتغن بالإبل ، أو أن ليبياً واحداً في ذلك الحين كان لا يحب الابل ، ولم يحز في نفسه ما حلّ بها ، من نهب ، حتى من قبيلة ليبية ، يقول الشاعر :

تعز من يكسبها
وهي عزها بالخيل عند عربها
وفارس يحاميها وين صار عطبها
منين سوقها في اثمانها يغليها
اما حدر ساقط مع منكبها
والا فكها سالم وروح بيها
والا فكها سالم وبيها روح
وخلا صبايا واجدات اتنوح
يبكن علي فارس رقد مطوح
قعد في المدنة * والفرس جو بيها
باتت حزينة جوزته وتنوح
خذا عزها غار الزمان عليها

* المدنة : المكان المدمر على اثر وقوع المعركة .

انظر كيف تدفع الابل إلى الإقتتال بين القبائل ، حتى أن الشاعر ليفتخر في صورة تحذير ، بترمل زوجة الخصم ، والإغارة لا تقتصر على افراد بل الكل يفعلون ذلك ، أما مدافعين ، أو غازين ، استمع الى ما كان يفعله زوج الأرملة التي تحدث عنها الشاعر :

خذا عزهــا غار الزمــان الغاير
ومـن قبـل هو الغـوار يامـو داير
عليه لا يشــه مول الجبــين الناير
بيه والعه كانت أو والع بيهـا*

ثم فلتستمع الى تفاصيل هذه المعركة التي يصورها الشاعر قائلاً :

يهدّن بيض من لبس الكساوي
ويردن حمـر من نغـر الدما
يومــا شــين يا عوج اللغاوي
مــع لجــواد ناره شايطا
تمراري نـين تبقــي حنظلاوي
وتحلي نــين تبقــي سكرا

* لايشة : حزينة .

وعـاد الخيل وأطفـال العشاوي
والمردان وأصحـاب اللحي
عزف وديان جابهـن سيل قاوي
عالجـالات راميهـن عزاف
واللي مات دارو له عزاوي
عليه الطـار ينقـح بالعصا
والمجـروح جابـو له مداوي
وطـق عليه عوده والكسا
وباتـن خيل هلهـا في هناوي
وبـات الغلـب علي ما سعى

إن هذه المعركة الطاحنة لم تكن إلا من أجل الإبل .

وقلما تُذكر الإبل دون أن يكون ذكرها مقروناً بذكر الخيل ، وهذا راجع لأحتياج حماة الإبل الى الخيل ، والتي يُعتبر وجودها ضرورة حتمية لسلامة الإبل من النهب والسلب .

يقول الشاعر :

فيه تسـعمية خيل وألف مضارب
ونـازل ضفـايف كل حد في جيها

العـز كحيلـة وهـي عزهـا في نجع
واجـــــــد خيلـــــة

ولماذا وفرة الخيل ؟؟ ، يقول الشاعر :

ان صار المعيط ما تفـوت جفيلة
مـا يلزهـا نـين ينحـرق راعيها
يجنهـا سرايا دايرات وليلة
صقـوره علي قرّح سماح نصيهـا *

عزّ وخيرّة وهي عزها قادر شلوق مسيرة *
جواد كالفه مولاه موش جشيرة *

إن الجياد شيء شروري ، ومعـول له فاعليتـه في حمـاية الإبل ، والخيل في كل قصائد شعرائنا تقترن دائماً بذكر الإبل ، ونجد ان كل شاعر عبّر عن حزنه لم ينس البته ان يذكر الإبل والخيل ، خاصة عندما يحس بالمهانة والمذلة ، فالجـواد برمـزه الدال على القوة ، والإبل رمز الحياة الرغيدة .

---

* قرّح : جمع قارح ، وهو الحصان القوي البنية .
* شلوق مسيرة : الفرس السريعة الحركة .
* جشيرة : المقصود الشخص الإبله القصير النظر .
(اعتمد في شرح المفردات على ديوان الشعر الشعبي / جامعة قاريونس .

وفي قصيدة (ما بي مرض) والتي جادت بها قريحة أبي حويش في المعتقل ، . . واصفاً شتى صنوف المذلة ، كجلد النساء ، وتيتم الأطفال ، وتشريدهم ، لم ينس الشاعر ذكر الخيل ، والإبل مقرراً الحاجة الملحة اليهما :

يقول الشاعر :

ما بي مرض غير سمع السوايا
ومنع الغوايا
وفقدة اللي قبل كانوا سمايا

وربط النساوين طرحى عرايا
بسبلة قليلة
ايدير ولهن جرم ما فيه قيله

ما بي مرض غير ضرب الصبايا
وجلودهن عرايا
ولا يقعدن يوم ساعة هنايا
ولا يختشوا من بنات السمايا
بقول يا رزيلة
وعيب قبح ما يرتضي للعويلة

ما بي مرض غير فقد الملاح

ودولة القباح
اللي وجوهم نكب واخرى شحاح

وكم طفل عصران ما لسوط ذاح
حاير دليلة
يا نويرتي صاف من دون جيلة

ثم نجد الشاعر يتطلع الى اقدر من يستطيع رد الثأر ، من رجال على صهوات الجياد ، يقول :

ما بي مرض غير خدمة بناتي
وقلة هناتي
وفقدة اللي من تريسي امواتي
وفقدة عزيز النصص بوعناتي
العايز مثيلة
يهون على القلب ساعة جفيلة

وعن الابل يقول :

ما بي مرض غير طولة اريافي
ووثقة اكتافي
وصبري بلا كسب ميل الشعافي
تريسي اللي عالسوايا يكافي

خيار القبيلة
عشا للجوارين يحموا اكحيلة

ليس هذا فحسب ، بل كسب الابل يكون مدعاة للافتخار ، وردا للاساءة ، يقول : خالد ارميلة ، يبرد على احد اساء اليه :

طوال الذرا عوج العراقيب من ورا
نزالين دار العلو في اقبال خيرها
اللي مراحها في الصقيع في وان
الشتا مهاوش رتم بالمسك فوح عطيرها(*)

وهذا الحب الجارف للخيل والإبل ، جعل لليبيين دراية كبيرة بمعرفة أحوالها ، ومعرفة أصيلها من رديئها .

ولو حاولنا استقصاء سببية الارتباط الكبير بين الليبي وأبله وخيله ، لوجدنا الشاعر يجيب قائلاً :
بطيب الخصايل ما لهاش نهاية
نعمة من المولى رزقنا بيها
مغير نارها في ذيلها ضواية
ياحينها لو كان ما هي فيها

---

* مهاوش : جمع هيشة ، مجموعة الشجيرات التي تنبت في الصحراء .

ان صار الغــلا للمــير للشراية
يديروا غرايرهــا ويمشــوا بيها
كيف المراكب بيك في الوهطاية
تدير عزم وتخش السريرة بيها(*)
وان كان لمتهــا وان السرا سراية
مــا هي بخيلــة في الوطــا تطويها
وتشيل الشراب ومونتــك بكفاية
الا هي غريمــة ما عليكش فيها
وين ما لفــت خلــت بيوت ملايا
ويطـير شر هلهــا وين يلفــوا بيها
وان كان روحــوا بيهــا اللي فلاية
يروي المحــل والجــار واللي يجيها

اذن كان وراء حبهم للأبل أسباب عديدة ، منها انها وسيلة للمواصلات عبر الصحارى ، وانها تمد الاسرة بالمؤ ونة ، وغير ذلك .

وقد وصل الحال الى انهم صوروها زينة الحياة الدنيا ، وهي

---

* الوهطاية : الأرض الصحراوية
* الفلاية : الرعاة .

من المعجزات المؤدية الى الإيمان بالله ، مستندين في ذلك على قول الله تعالى :

(أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت) :

يقول الشاعر :

كسب البل همة الها تعلاية
حتى ان ربتها بالعين تزهى بيها
والبل خلقها وعزها مولايلة
علي حسن صورتها اللي جت فيها
هي والسما والارض جن في لاية
ونزلت في القرآن يتلوا فيها

وإذا كان هذا سبب حب الإبل ، فان الخيل من أولى وظيفاتها الدفاع وخاصة عن الإبل ، ومن ثم كان ارتباطهم بها وتكسبهم لها :

تعز البادي وهي عزها مكروم بو الفنادي(*)

ويقول الشاعر موضحاً أهمية الخيل في حالة النفير :

---

* بو الفنادي : الحصان .

وفــزن خيل من هلهــا مقاوي
سمان مسلحــه ما هي عيا
مقفــولات ديهــا بالحثاوي
عالكاباش تمشـــي سايــرا(*)
ودارن ريم من خوف الخطـ
ـاوى نـين أجــاملن باللي ورا .

وللخيل بالطبع فرسانها ، الذين يصف الشاعر صفاتهم قائلاً :

طويل الصمـت عقلــه مو هواوي
عليه الصــد فارس ما لقـا
عفيف البطن كي صقر النداوى
رفيع الشوف ما عمره سطا(*)
عزيز النفس واطــي عالشهاوى
بحّــارى غــير يسمــى فتى

ونتيجة لهذا الارتباط ، فقد مهر الليبيون في معرفـة شئـون الخيل والإبل وأصبحوا لا يدانيهم عربي في ذلك .

---

* الحثاوي : جمع حثوة ـ أي النعال .
* الكاباش : النعال أيضاً .
* رفيع الشوف : ذو عفة لا يهتم بالتوافه .

والليبي الذي لم يتردد لحظة في قتال ابن وطنه وقبيلته من أجل حماية ممتلكاته وخاصة الإبل ، فمن الطبيعي الا يقف موقف المتفرج ازاء عدو صليبي دخيل فعل افعالاً تسيء الى سمعة العربي الليبي ، وتجرح كبريائه ، والتي كان اشدها على القلب مضاضة الإعتداء على النساء ، فالليبي الذي يقول عن نفسه :

لو متت ما ناكل اللي موطيب
الخالق غني واللي خلق ما يسيب
ولا نأكل المسروقة ولا نطارد
اللي في السبب ملحوقة
امتى بصبر واللي صابره مرزوقه
حتى لو بطا خير الكريم اقريب

إن شعباً هذه خصاله ، وهذه اخلاقياته ، لن يقف ، ولم يقف صامتاً ، ونسائه تُجلد أمامه ، بل كان ذلك من الدوافع القوية ، خاصة عندما يقترن بفقدان الأحبة الاشاوس ذوى الشهامة والإباء والذين يقول عنهم الشاعر :

شغلني مطراهم باهيين وتاهم
اللي هم ذراهم ساعة الدهشان

ما من الخـيرة عنـد قولـة ديره
اليوم في دزيرة في بحـر طليان
ان ناضـن ايدير والـكلام أقصير
فارسـه أيطـير ساعـة الزنان
لموهـم النصـارى كلهـم في حارة
خلوهـم جضـارى حالهـم تعبان
حتى ونا معاهـم شاطنـي مطراهـم
تزيينـة لحاهـم غيبـة لذهان
سماح المسـايل هل البيت الخ
سايل ركابة عريض الصدر بومسلان
ان زغرت الناوي بوقـرون ملاوي
ونقـر الـداوي خالي الجيلان *
ايجنـه طرابـه دايرات ضبابه
زكبهـن كما جَضَّـةْ قطـا عطشان
وان تاق ينطحنـه ما يولن عنه
ولا يل على الكافـر عدو لديان

في هذه الأبيات يتذكر الشاعر رفاقه ، وأهل عشيرته ، وهو

* الجيلان : الطبل .

يعاني سكرات حزنه ، ذاكراً صفاتهم وشجاعتهم .

ولعل ما في البيت الخامس ما يكفينا مشقة الشرح والتحليل ، فقد عبّر الشاعر عن مدى وقار الليبيين ، وعزتهم ، عندما ضمّن احزانه حلق لحي الشيوخ والتي تدل على الوقار والحشمة ، وهذا ما يُقَرّح نفس الشاعر ، ويدمي فؤاده فالمشائخ الذين يتمتعون بالاحترام والتقدير ، يعاملون كمعاملة (الجديان) دون مراعاة لمكانتهم ووقارهم ، ان هذه التصرفات وحدها أكبر خطيئة عند الليبيين .

وهنا لنا وقفة مع البيتين القائلين :

خذ اعزها غار الزمان الغاير
ومن قبل هو الغوار يا موداير
عليه لا يشه مول الجبين الناير
بيه والعة كانت والع بيها

لقيد قيل هذان البيتان ، على لسان شاعر يفتخر بقبيلته ، التي دحرت قبيلة أخرى في معركة حدثت بينهما ، فافتخر بما حل بامرأة المهزوم والتي اشار اليها بقوله (مولى الجبين الناير) ، رغم إن هذه الحرب بين اخوة أشقاء ، وقد ذكر الشاعر ما حلّ بالمرأة ، ليصور لنا فداحة مصاب الخصم أي أن

تظل المرأة حزينة باكية ، يكفي دليلاً على فداحة المصاب والهزيمة وما تفتخر به عند نصرك ، هو ما تستنكره على الفور عند ما ينقلب عليك ولذلك استنكر الشاعر الشعبي ترمل النساء على أيدي الايطاليين الفاشست فقال :

خلا نساهم ذايحات بلاهم
السدايم المولى ياكبار الشان

ومن هنا نجد الإتحاد ، والتضامن بين الليبيين ضد عدو للدين ، ولذلك تغيرت صيغ التعابير ، ودواعي الافتخار ، وأصبح هناك (صليبي) و (مسلم)

لموهم النصارى كلهم في حارة
خلوهم جضارى حالهم تعبان

* * *

وان تاق ينطحنه ما يولن عنه
ولا يل على الكافر عدو لديان

* * *

ليس هذا فحسب ، بل أصبحت الوحدة العربية مطلباً أساسياً ، وعبّر عن ذلك الشاعر ، بقوله :

وتعمـر السـكة ما لغـروب ومكة
لا عد شبـردق لا هنـاك حدود

هكذا كانت دوافع الجهاد ، تتلخص في عزة النفس ، التي ترفض المهانـة والمذلـة ، أو تشريد النسـاء ، والإعتـداء على الممتلكات ، وبخاصة الإبل . هذه الأشياء مجتمعـة ، كانـت دافعاً قوياً ، أمتزج بحب الوطن والدين ، وفي هذه الأبيات ما يوضح هذه الدوافع مجتمعة .

فهذا شاعـر يحـاور ناقتـه التـي امتطاهـا قاصـداً الـرحيل والهجرة ، بعد أن حلّ بالوطن ما حلّ ، فوجد الشاعر نفسـه وجهاً لوجه مع شيئين عزيزين هما الوطن والناقة ، فيقول على لسان الناقة :

أنـــريـــد حطــــايــــا
ونـريد عينـا اتـذرف ادقـول مرايا
ونشرب بلا رسال
لا تقاية ونصدر مع مشهب نشا طرادى

* المناشي : ابار جنوب اجدابيا

الشاعر :

عايشـــه   بعصرها
ولا عمـــر والي عالجفـــا صغرها

وفي هذه الأبيات نرى الشاعر يحز في نفسه ان يتحكم أحد في حرية ابله فما بالك بحرية الإنسان .

يقول الشاعر (رجب بو حويش) مُلخصاً دوافـع الجهـاد مجتمعة :

(1) الوطن :

ما بي مرض غير واجد مرايف
والحال صايف
علي عكرمة والعدم والسقايف

مرايف علي عكرمة والسراتي
اللي هن مناتي
نشكره ان كان طلتن في حياتي

علي وين ما يخطر ن ننسى اوقاتي
دمعي انهيلة

زواعب علي لحيتي سال سيلة

ما بي غير فقدة بلادى
وشي من اريادى
الضرابين المكوغط ينادى

(2) ضياع الابل :
ما بي مرض غير حد النكاد
وشوية الزاد
وريحة اللي مجبرة بالسواد

الحمرة اللي وين صار العناد
عناتها طويلة
الها وصف ما عاد تاجد مثيلة

(3) فقدان الاحبة :
ما بي مرض غير فقد الحرابي
خيرة اصحابي
الضرابين والمكوغط اينابي

(4) إهانة المرأة :
ما بي مرض غير خدمة بناتي
وقلة هناتي

وفقدة اللي من تريسي مواتي
ما بي مرض غير فقد الرجال
وفنية المال
وحبسة نساوينا والعيال

ما بي مرض غير ضرب الصبايا
وجلودهن عرايا
ولا يقعدن يوم ساعة هنايا

(5) : فقدان الخيل :
ووخذة عزيز النصص بوعتاتي
العايز مثيلة
ايهون على القلب ساعة جفيلة

وريحة اللي خايلة بالجامي
غريمة الهميلة
منقودة التناسيب نقدة الريلة *

* * *

* المكوغط : الرصاص
* الريلة : تحريف لكلمة الليرة

هذه الأشياء مجتمعة ، شكلت دافعاً قوياً ، من دوافع الجهاد ضد الغـزاة الايطـاليين ، واذا ما اضفنـا اليهـا الإعتـداء على المقدسـات الاسـلامية ، فلن نتعجـب أبـداً لضخامـة عدد الشهداء الذين قدموا الـروح والمال إبّـانَ الغـزو الفاشيستـي الغادر .

ملاحم النضال .. في أشعار
حمد مصطفى اجفيلة

التراث الشعري الهائل الذي خلفه أجدادنا الشعراء ، بما يحويه من بلاغة ، ودقة في التصوير ، وعمق في المعنى ، من الصعوبة بمكان ان يعطيه أي محلل أو مفسر حقه ، اولاً لضخامته ، وعمق فنيته ، التي تصعب على الشارح ، ويضيق به المقام ، فلا يستطيع حصرها ،فهي تحتاج الى مجلدات وثانيا ، لتشتته ، وضياع الكثير منه .

فأحياناً لا نستطيع التعرف على اسم الشاعر ، ونعرف القليل من أبيات قصائده . . وتأخذنا روعة كلماته ، ونحاول بشوق معرفة المزيد ، ولكننا نصدم بأن هذا . . كل ما عرف من قصائد الشاعر الذي نجهل اسمه .

وثمة حالة اخرى معاكسة ، أحياناً نتمكن من معرفة الشاعر ، ولكن نكتشف ان ما عرفناه من أبيات قصائده قليل جداً .

وفي موضوع سابق تعرفنا على اسم شاعر شعبي ، مجهول القصائد ، وهو الشاعر الكبير (حمد مصطفى اجفيلة) .

ورغبة مني في التعريف بهذا الشاعر ، استطعت بعد جهد جهيد ، ان أجمع بعض قصائده ، وأسأل المعاصرين له عن مدى صحة نسبها اليه . وأخيراً كانت ثمرة البحث نتفا صغيرة من قصائده ، وهذه النتف الصغيرة لا تصلح بطبيعة الحال للحكم على اتجاهات الشاعر الشعرية ، ولذا رأيت ان تقتصر هذه الدراسة على ما بين يدي من قصائد للشاعر المجهول .

والشاعر (حمد اجفيلة) له اسلوبه الشعري المميز ، فهو يبدع في التصوير الى حد كبير ، كما تسحرنا موسيقاه الشعرية ، فكل أبياته رنانة مؤثرة ، فهو مرهف الحس لا شك ، كما ان قوافيه متينة رصينة ، لم تحشر حشرا ، ولم توضع جاهزة ، لكنها تأتي طبيعية نابعة ومتماسكة مع مضمون البيت ، ومن الأبيات التي بين يدي ، أجد ان (حمد اجفيلة) يعتبر شاعر مجدد عصره ، وسيجد القارىء ان اشعار اجفيلة لها نكهة غريبة واسلوب مختلف ، كما ان له مفردات صعبة الفهم ، فهو يملك قاموساً قوي المفردات ، عميق المعنى ، ومن الأبيات ايضاً نجد ان الشاعر نفس محبة للإبل ، دائم التغني بها ، :

يقول حمد اجفيلة :

يا بنت السخية سيدك ما يريد ايغلك اديار
في التشريق يأخذ ليمنية وفي التغريب يرقى عاليسار

راكب فوق حايل عنسفية
اطـج ادقـول قالبـه في ابحار
لكهـا كي لك الصابغية
الهـا عامـين ما شالـت احوار
ثـديـانهـا دارن زاعبية
ايسـون فوق امنـا غيار
فحلهـا عابـد لابس تونسية
تبـاوى جاي من نوبـة افجار
واليوم عليك وقـاف عالزابطية
عـالمدير من خوف الغرار
وعـاد التكوبـر والثـريا وعاد
الـزكر زاكي عالمرار
برمتـي فيه برمـه مي بطية
رديتـي دهاشـة عالحوار

وهـذه القصيدة جادت بها قريحة الشاعـر ، منـدداً فيهـا بأساليب الغزاة ، الذين جردوا الأهـالي من كل ما يملـكون ، ويصـور وقوفهـم ، مدراء وضبـاط ، على الإبل خوفاً من أن تضيع منهم ، ثم يصف شدة غيضه لتجـرده من السلاح الذي يستطيع به أن يحمي ممتلكاته ، ويدحر المعتدين ، في أبيات يقول فيها :

من يومـا حدرنـا والسـلاح طمرنا
ما يوم فضين عندنا لسرار
ايقولـة شيلـو شور ميّة كيلو
جماعـة بوقـرين امـرو دين الدار

ويحضرني بيت آخر يقول فيه :

(نحـن دبـك وغيرنـا بنداقة
مـا ننهضـوا مكروب وان الغيرة(*))

استمع الى هذه الموسيقى الغنائية التي يحفل بها شعر (حمد اجفيلة)
(حدرنا : طمرنا ـ شيلو : كيلو ـ لسرار : الدار) .

ولاحـظ أيضاً ان كل غيض الشاعـر ، هو غيبـة سلاحـه الـذي يحمـي به أهلـه وجيرانـه ، ويصـب لائمتـه على الـذين يحددون له الاقامة ، ولا يتركون له حرية العيش ، او النزول بأي مكان يشاء ، وهو النفس التواقة الى الحرية الرافضة لكل أنواع الاستبـداد ، كما يقـول عنـه ابنـه (علي) ، مستشهـداً بأبيات ، قال عنها ان الشاعر صاغهـا عندمـا قام الايطـاليون بتحديد مكان إقامته ، وعزله خشية اختلاطه بطوائف الشعب ، وإمداده للمجاهدين بالسلاح والمؤ ن ، وقد اتهم الشاعر بذلك مرات عدة مما حدا بالايطاليين الى إبعاده ، هو وصديقه الشاعر (علي شيلو) والأبيات تقول :

يا علي شورك اليوم امرايف
علي وطـن في لوطـان ما له صايف
وقيس العــلام وقيسهــن من شرقه
وقيس الصواكي وأنت مانك خايف

وفي هذه الأبيات يستعمل الشاعر ترديد الكلمة الواحدة ، مقرونة بالتحديد المكاني ، ليكسب جانب التأثير في السامع ، وهذه ميزة اخرى لا نجدها الا في اشعار اجفيلة ، ولنتأمل مليا في البيت الأخير

(وقيس الصواكي وأنت مانك خايف)

بعد ان يحدد الشاعر المكان يقرنه بالحرية ، أي وأنت تمر كما تشاء ، لا أحد يمنعك ، او يعترض طريقك ، بل وأنـت في غمرات الحرية .

وهذه الاتجاهات في شعره ، هي التي كانـت السبـب وراء اعتقاله ، وقد شهد مع غيره من أبناء الشعـب الليبـي معتقـل العقيلة الرهيب ، ويقال انه شارك في قصيدة (ما بي مرض) التي قيلت في المعتقل ، بأبيات نسبت الى الشاعر (بوحويش) والأبيات التي بـين يدي تفتقـر الى تجـانس الوحـدة العضـوية للقصيدة ، نظـراً لضياع مكمـلات القصيدة من أبيات محاهـا الزمن من ذاكرة ابن الشاعر ، مما ترك فراغات كبيرة حالت دون التسلسل المنطقي للقصيدة ، والأبيات هي :

ما بي مرض غــير دار العقلية وفنــوة اكحيلة
وبعــد الجبــا من بلاد الوصيلة
وحومة لواطيف عز العطايف حتى وهي بخيلة
تربــي القعــادين جلّ خويلة

* * *

ما بي مرض غير خدمة بناتي وشوية حتاتي

وفقــدة عزيز النصص بوعتاتي
العــايز مثيلــة ايهــون على القلــب ساعــة جفيلة

* * *

ما بي مرض غير دموعي قواطر محابيس ما دونا من ايساطر
الراعي امعقل اجمال القناطـر فحولـة اكحيلة
وطالــق القعــادين فوق الخويلة
تريسي اللي عالســوايا يكافوا
نــواوير عيلــة راحــوا بلا يوم ضابــح ثقيلة
أيصبي ايلا غيك بلسان حامي ولغـوة هزيلة
أنخــاف يعدمــك من قبــل لا تشتكيلة

* * *

وخدمـة نساوينـا والعويلـة معيشـة رزيلة
امغـير عاد ما باليد حيلـة

* * *

الفـارس اللي كان يقـدع المال
نهـار الزطيلـة طايعلهـم كي طوع الحليلة

* * *

هذه هي الأبيات التي يقول الرواة انها من نظم اجفيلـة ، والله أعلم .

ويقال ايضاً ان قصائد (حمد اجفيلة) وطنية صرفة ، فهـو شاعر ملتزم ، يتغنى للحرية والخلاص ، وقد فرض عليه هذا الالتزام ، طبيعة عصره الذي عايشه ، وهي الفترة التي جثـم فيها الايطاليون على ترابنا الغالي ، ولكن كما سبق القـول ان معظم هذه القصائد مفقود .

آمل أن أكون قد سلطت بصيصا ، ولو ضعيفاً ، على ظلام دامس اكتنف هذه الشخصية المجاهدة ، يكون عرفانا ووفاءا لشاعر جاهد بالمال ، والنفس والكلمة في سبيل . . ان نحيا ، فتحية له ، ولكل جنـدي مجهـول ، فما أكثـر شعرائنـا المجهولين . . وما أروع قصائدهم .

---

* بوعتاني : الحصان

فنية القصيدة الشعبية

(والله لا نصبـــركن ولا ننهاكن
علي وطنـــكن سيلن أن ضاق وعاكن) .

في كل العيون دموع ، لكنهـا لا تسقـط إلا عندمـا تفيض المآقي ، وقد شبّه الشاعر المآقي بالوعاء الفائض ، الذي يكون من الأجدر أن يسيل ، لأن الوعاء قد امتلأ بأكثر مما يتحمل ، وفي سيلانـــه تخفيف على الوعـــاء الفـــائض (العيون) من الفيضان ، حتى تصبح في حالتها الطبيعية ، ومن ثم تستريح النفس والعين .

ويقول الشاعـر بأنـه لن ينهـي عينيه ، ولن يصبـرهما عن البكاء ، وفي البيت أستعارة ، فقـد استعـار الشاعـر إحـدى صفات الإنسان وهي (الأمر والنهي) ثم يعلل الشاعر السبب في عدم نهي عينيه عن البكاء ، بقوله أن النهي هو كبت فتكون نتيجته العلة الحادة ، ان خروج الغضب دموعاً خير من بقائه عاصفة ، تنسف الوجدان ، وتزلزله من الداخل .

لقد عرف الشاعر ذلك عن طريق التجربة ، فكثيراً ما نسمع على السنة العامة قولهم (فش عبرتك) أي لا تدع الحزن مجرد عبرات تسكن داخلك ، دون أن تعبر عنه ، لأن في ذلك ضرر بليغ ، وفهم الشاعر لمضاعفات الكبت واضحة في قوله :

(ديما شلن وسيلن نهار وليل ليش اتملن
خير البكامن كونكن تنعلن ويكبر مرضكن كي تمكن داكن) .

(شلن) مأخوذة من كلمة (شلال) ، وهنا ترد في البيت ككناية عن شدة البكاء ، والذي يأمر به الشاعر وبشدة ، إحتراساً من العلة الملازمة للكتمان ، ثم يورد الشاعر بعد هذه الكلمة مباشرة ، كلمة (سيلن) ، مأخوذة من (السيل) أي مصدر الشلال هو العين ، ومن الشلال سيول ، وهي حركة تدحرج الدموع على الخدين بعد البكاء بالحركة البطيئة المعروفة ، ولكن ما دام مصدر الدموع هو الشلال ، فالشلال يندفع في حركة فيضان سريعة مندفعة ، فمن الطبيعي أن تكون سيوله سريعة الجريان ، وهنا ينجح الشاعر في توصيل أمره والحاحه الشديد في المطالبة الفورية بالبكاء ، والنهي الذي هو أيضاً في صورة أمر بالابتعاد عن حقن الدموع .

ويتناول الشاعر (الفضيل المهشهش) نفس المعنى ، فيعبر عنه بقوله :

شيلن الصـوت العـالي مربى
عـزيز ما ينسيه طول اجالي
الـدنيا قديمـة ما تدوم الوالي
باخلاص صدق خليكن علي مبداكن

* * *

سيلن على الفزاعـة اللي قبل
للصاحـب أصحـاب شجاعة
اللي وين ما زغـرت طويل أقناعه
أيتمـن أرجـود محجرفـات أحذاكن
واليوم تميتـن أمغـير زرايب
جميع الجضر لمد أجيوش وجاكن

* * *

(شيلن) بمعنى (أرفعن) ، يقصد (العينين) ، واللهجة الليبية أحياناً لا تثني بل تفرد وتجمع فقط وقد جاءت هذه الكلمة معبّرة ، فالأمر هنا برفع الصوت كناية على التحريض والترغيب درءً للخطر .

ثم يقول : (الدنيا قديمة ما دوم الوالي) أي الدنيا موجودة قبل أن يُوجد الإنسان أي أنها ليست ملكاً لأحد ، وعليه فلن يملكها أحدٌ كَانْ ، وقد أستمدت هذه الكلمة قوتها من معناها المتداول في اللهجة ، وكلمات اللهجة الليبية قوية وتحمل معان بلاغية ، ومبالغة في التعبير ، وهذا ما كان له الأثر في تدعيم قوة الفاظ القصائد الشعبية .

وفي الأبيات عدة كلمات قوية ومعبّرة ، بعضها عربي فصيح لكنه محرّف ، مثل .. كلمة (أحذاكن) أي بحذاءِكن (بقربكن) ، و (جاكن) أي جاءكن (تميتن) .. من (التمام) ، وهي كلمة قوية معبّرة - أي ان امكنة الشاعر المعروفة وصلت تمام الدمار والخراب ، حتى أصبحت كالإسطبل ، وهذا وارد في قول الشاعر (واليوم تميتن أمغير زرايب) ..

ويقول (جميع الجضر لمد أجيوش وجاكن)

و (الجضر) ، هو الملل ، وعبّر عنه الشاعر بأنه كوّن جيشاً من كل ما يسمى بالملل ، وهاجم الدار ، وهذا تعبير على شدة ما حل بالدار ، ونرى بوضوح التحريف الذي طرأ على كلمة (ضجر) .

ولنتأمل في ما وراء المعنى الذي ساقه الشاعر ، والقائل (اليوم تميتن امغير زرايب) اليوم ـ لتحديد الزمان الحاضر ، وبعد تحديد الزمن يقول : (تميتن) من التمام أي لا ينقصك أي شيء من هذا الاسم .

وقد وفّق الشاعر في أختيار كلمة (زرايب) قاصداً من وراء ذلك أثار الديار ، التي انعدمت فيها الحياة والحركة بأثار الإسطبل ، وفي ذلك تشبيه ضمني .

وليدقق القارىء في كلمة (امغير) وهي اداة استثناء (غير) ، فقد عمقت المعنى الذي البسه الشاعر للأطلال ، فاستثنى أي ـ وصفها بالأسطبل ، أما ما عدا ذلك فلا يمكن أن يكون لها أي أسمٍ أخر يمكن أن يطلق عليها .

ومن قصيدة أخرى تعبر عن معنى أخر ، يقول شاعرها :

أمبات الجلاوى وين ضاق امباته

وضاقن عيونه والطريق رماته)

أي ضاقت عليه الدنيا ، ولم يهتد إلى الطريق الذي يريد ، وضيق العيون هنا مقصود به عدم تمكن الساري من متابعة الطريق ، . . . . (والطريق رماته) ، المعروف المتعارف عليه أن الرمي نوع من الحركة يفعلها الإنسان ، ولكن

الشاعر يأتي بتعبير فيه إستعارة مكنية ، ومجاز مرسل ، غاية في الروعة ، فالطريق بالتفافها ، وطولها تبعها الجوال الساري ، فخدعته ورمت به في مكان آخـر لا يرومـه وفي البيت أيضـاً كنـاية ، فالشاعـر يريد القـول (أن بيتـه بيت كل محتـاج ، أنقطعت أمامه كل السبل » .

ولننتقل الأن الى الشاعر البليغ (عبد المطلب الجماعي) في أبيات يقول فيها :

(وهـــي شعــرة منخــر وين ما سلوها
أتجــري شراب العــين تدمــع بيها
وهــذى اسماهــا عالبــلا سموها
غــير أسمهــا بالجــزم جا خاطيها)

الكل يعرف مدى صعوبـة أن تُستـل شعـرة من شعـيرات الأنف ، وأنه بمجرد أن تُسل شعيرة واحدة ، تدمـع العـين ، تأمل كيف وضع الشاعر الإبل في موضع غاية في الحساسية ، يرتبط مباشرة بسيلان الدموع ، عملية ألية بمجرد أن تُسلـب الإبـل تسيل . . الدمـوع ، لقـد شبَّـه الشاعــر الإبــل بـ (الشعرة) الموجودة في الأنف ، وهذا تشبيه حسي لا مادي ، يريد الشاعر من ورائه أن يصور لوعته بفقدان أبله ، أما القيمة المادية ، فإن الأبل يفضلها الليبيون على كل كنوز الدنيا .

(وهــذى اسماهــا عالبــلا سموها
غــير اسمهــا بالجــزم جا خاطيها)

أن كل شيء يسبب الألم ، هو في حد أسمه (بلاء) مشتق من البلية (المصيبــة) ، وقــد يكون هذا الشيء في ظاهــره (بلاء) ، ولكن في حقيقته (خير) ، وقد يأتي البلاء ، نتيجة ابتلائنا بفقدان شيء نحبه ، وفي العامية نقول : (فلان عنـد الظلم بلاء) . . . فهو ليس بلاءاً ، ولكن قد صار بلاءاً عند البلاء ، وقد يقـول شخص عاطفـي عن نفسـه بأنـه قد أبتلى بعاطفة متأججة ، فالعاطفة في حد ذاتها شيء جميل ومطلوب ، ولكن ما تجره من ويلات هو المرفوض ، وهذا ما قصده الشاعر في الشطرة الأولى من البيت السابق ، أمـا في الشطـرة الثـانية منه ، فنجد الشاعر قد تصرف في ضبط كلمة (ابل) فاستبدل جزم (الباء) بفتحها ، فأخرج الكلمة عن معناها ، لتعبر عن معنى آخر هو (البلاء) .

ويقول شاعر مجهول :

(احوال ايهمن احوال ايفرقن وان المبات ايلمن
احـوال يفلتــن بدمــوع ما ينزمــن اللي مراعاتــه علي صعيبه) .

في النهار يتفرق الألم ، ولكن بمجرد أن يأتي الليل يتجمع ، وآلام الشاعر كما يذكر ليست شيئاً محدداً ، ولكن المصائب بصفة عامة ، وقد أستعار الشاعر التشتت والتجمع وهي صفات حركية البسها للألم .

(أحوال يفلتن بدموع ما ينزمن = =)

(ينزمن) المعنى التأم ، يقال : وزمّ شفتيه ، إذا أطبقهما ، ويوردها الشاعر بقوله (أن دموعه لم يلتئم مصدرها ، بل لا زالت (تفلت) أي تفيض) .

* * *

لننتقل إلى قول الشاعر (الفضيل المهشهش)

أحوال تفارج أحوال عفنهن عا الزين توا دارج

أحوال خلفن حتى الحمار أيهارج في هيلعاً ما خاف من تنيبه)

يقرر الشاعر أن الأحوال السيئة التي رمز اليها بكلمة (عفنهن) أي القذر منها درج على ايذاء (الزين) او الرجل العظيم .

(أحوال خلفن) الخليفة كل شيء يخلفه شيء فيخلفه ،

والأحوال التي ألَمّتْ بالشاعر كانت نتيجتها أن فقـدت الأشياء العظيمة عظمتها ، فأصبح (الحمار) يهارج من (التهـريج) في (الهيلع) دون أن يخاف الأول من الثاني حسـب القاعـدة الطبيعية ، من أن يفترسهوينشبفيه (نابه) . كما ورد في قول الشاعر (ما خاف من تنييبه) والكلمة مشتقـة من (النـاب) وهي أفضل وأقوى تعبيراً من كلمة (عظة) فقد صورت شدة الإفتراس ، فالناب يمزق ولا يجرح فقط ، وهذا العقاب ، كما يقول الشاعر لم يخف منه (الحمار) ، وهذه الكلمة وأمثالهـا تدل على أن شعراءنا الشعبيين تؤ ثر فيهم المشاهدة والتجربـة فثمة كلمات كثيرة يدل إسمها على معناها .

ومن القصائـد الشـعبية الجيدة ، قول الشاعـر : (حسـن لقطع) : يصف ما حلّ وسيحل به من جراء حبه (لبلها) ، يقول :

امس لا اليوم تصـير لي نخطافة
نشفـة ادمـاغ ومـن أسبـاب هدفها

وتقـول سكروا مالي ومـال قطافه
سـواق مزن بنـديرة موالف زفه

ويختتم وصف حالته بقوله :

قديمـــة مدانـــاة العلـــم خلافة
مشهـــاب نار لا يبـــرد ولا يطفّه

* * *

(أمس لا اليوم) بمعنى لا قدّر الله ، وفي هذا فن في القول ، وشرحه يحتاج الى شيء من التركيز ، حتى نستطيع تفهّم معانيه .

(أمس) ماض وكل ماض يمر على الانسان يعرف ما فيه من أفراح وأتراح ، ومهما تكن الاتراح فإنها مع الزمن تنسى ، والشاعر يقول (أمس لا اليوم) ، فالأمس مضى ولم يكن لأتراحه أي ضرر ، فلا زال الشاعر عاقلاً ولم يصب بالجنون ، أي ان كل أتراحه قد عُرِفَتْ ، ولم يَكُنْ لها أي خطر .

اما كلمة (اليوم) وهي تعني العموم في اللهجة ، وتأخذ معنى أوسع وأكبر من المعنى الضيق المحدد به اليوم ، فنحن نطلق على العصر الحاضر الذي نعيشه كلمة (اليوم) اما في هذا العصر من أيام وشهور وسنوات ، أي أن الكلمة تشمل المستقبل أيضاً ، والمستقبل غير معروف ، فلا أحد يستطيع التنبؤ به ، فقد تكون الأتراح فيه فادحة قد تكون الموت ،

الجنـــون ، أو أي شيء من هذا القبيل ، وفي البيت المطعـــم بالحكمة الشعبية المتحرزة من الفأل السيء (أمس لا اليوم) ، فيه شيء يشبه الإحتراس . ويقول الشاعر على لسان عشيقته :

أتقول سكروا مالي ومـــال قطافة
ســـواق مزن بنـــديره موالف زفّه

و قطاف كلمات مقتطفة فارغة مكررة .

(سواق مزن بنديره(موالف زفّـه) : سواق : أي يسـوق أمامه السحاب يبغي من وراءه الجـود ، و (البنـدير) يعنـي شِعْره والذي لا إلتزام له ، يطري ويمدح حتى من لا يستحق الثناء ، وحديثه هذا فارغ وخلاف ما يُبطن ، فلا يدل غنـاءه أبداً على حب ، أوكره ، ولا على حقيقة .

وفي أخر القصيدة يصل الشاعر إلى إقتناع ، يقول :

قديمـــة مداناـــاة العلـــم خلافة
مشهـــاب نار لا يبـــرد ولا يطفّه

ولنحلل معاً الكلمات الواردة في البيت :

(مداناة) اقتراب من الكلمة العربية الفصيحة (الداني)

(خلاّفة) بفتح (الخاء) مؤثرة أي حتى مجرد الإقتراب من الغرام يخلف مردودات خطيرة .

(مشهاب نار) مفرد شهب .

(قديمــة مدانــاة العلــم خلافة
مشهــاب نار لا يبــرد ولا يطفى

لم يحدد الشاعر حبه (لسعدى) فقط ويصفه بالنـار ، بل عمم العشق بصفة عامة والرائع حقاً ، هو قوله (مشهاب نار لا يبرد ولا يطفي) ، أي لا أمل في اخماده ، فهو لا ينتهي أذاه ولا حتى يهدأ .

ويقول عن محاولاته في سبيل جلب عطف (سعدى) :

حذاهـا كمـل عمـري ونـا نذيب
وهــي مخادعــة تنقض اللي نفتلها

ضاع أغلب عمر الشاعر في ارضاء عشيقته ، مستعملاً شتى الحيل ، وكلمة (نذيّب) مشتقـة من أســم الذئـب وأخـذت طريقته التي يفعلها في سبيل الوصول إلى هدفها، وهي وسيلة تتسم بالخديعة والحذر عند الإقتنـاص ، وأطلـق الشاعـر على نفسه صفة الذئب ، فأشعرنا بأن محاولاته تأخذ طابع الحذر مما

يدل على إنعدام الرضى من جانب العشيقة ، وإلا لما عمد إلى حيل الذئاب ، والتي لها الخديعة والحضور الصامت الذي لا يشعر به الرعاة .

وفي الشطرة الثانية من البيت نلمس رد الفعل من الجانب الآخر :

(وهي مخادعة تنقض اللي نفتلها)

شبّه الشاعر محاولاته للظفر بقلب (سعدى) بالحبل الذي يُفْتَل ، والحبل المتمثل في المحاولة ، عندما يُفتل يتجمع شتاته ، ويغلظ رفيعه فيقوى ، ولكن (سعدى) كانت تدير الحبل في الوضع المعاكس . ، ونلمس من هنا أن إصرار (سعدى) على الهدم فاق اصرار الشاعر على البناء ، بدليل أن الحبل عاد الى وضعه المعهود ولم يصبح حبلاً بل شتات قطع صغيرة رفيعة ضعيفة ، فضاعت محاولات الشاعر هباءاً منثوراً ، وهذا . . تشبيه جيد ، وقوة في التعبير ، وعبقرية في التصوير .

و (الشاعر حسن لقطع) تعددت في شعره الأغراض والمضامين ، وله في الهجاء باع طويل ، وكمثل على ذلك أقتطفُ هذا البيت من قصيدة له يرد فيها على شعراء أخرين ،

جرت بينه وبينهم مشادة شعرية ، فقال فيهم :

عرب يا ناري منقرضين أمغير
جواجي تحت اجرود

(الإنقراض) هو الإنقطاع أو الإنتهاء . . أنقرض الشيء أنتهى ، والشاعر لا يستحضر من هؤلاء إلا ملابسهم ، وعدا ذلك جرّد دخائلهم من كل شيء ، سوى ملابس وهياكل خالية من الداخل ، والمراد أن هؤلاء تنقصهم العقول والقلوب .

وفي قصيدة أخرى للشاعر (صالح بومازق) يصور فيها حنينه لوطنه ، في أبيات لا تخلو من البيان الجيد ، يقول (بومازق) :

وين ما نجي العكارم
أيجي دمع عيني ما السواقي خارم

في هذا البيت يصف الشاعر هزّ الذكريات لوجدانه ، كلما مرّ بموقع الأهل (بعكارم) فيقول أن دموعه تهدم كل سد وتأبى إلا أن تتدفق قوية جارفة .

(خارم) يُقال في العامية (أنخرم السد) أي تحطم ، وجودة التصرف عند الشاعر تكمن هنا ، فكل سد يصد المياه ، وكلما طالت مدة حبس الماء ، كلما ازداد تجمعه ، والفترة الزمنية التي

قضاها الشاعر بعيداً عن وطنه ، هذه الفترة الطويلة كانت دموعه خلالها محبوسة ، ويزداد تجمعها بفعل الألم والغربة والعذاب ،

وعندما يمر بعكارم ، ينهار سد الدموع لا يخُفيه أو يقف في طريقه أي شيء .

ويقول في قصيدة اخرى يصف فيها إخوته الليبيين الذين نزحوا عن هذه الدار ، معدداً مناقبهم وطيب شمائلهم ، شاكياً متأوهاً لصديقه (بشير) :

ضرابين للصايل أن جاهم وارم
ضنا اشلبي هم حماة الجار
خبارين للصاحب بكل طرايف
نصابين للحلة اللي فوارة
يا بشير متذبيل وحالي صايف
صيفة الربيع اللي أطفي نواره

(الصايل) من الصولة .. الغضب (ان جاهم وارم) تطلق كلمة (وارم) على الشيء المنتفخ مأخوذة من (الورم) وهي عربية فصيحة ، ولكن انتفاخ الموصوف هنا انتفاخ بريح الغضب وهي كناية على حدته ، أي ان الصائل ، قد امتلأ ثورة

وغضباً حتى انتفخ ، في الأبيات كذلك مقابلة

(ضرابين للصايل ان جاهم وارم . . . . . خبارين للصاحب بكل طرايف)

وفي الأبيات ايضاً كناية عن الكرم ، فليس المقصود بقوله (نصابين للحلة اللي فوارة) ليس المقصود ما عبّرت عنه الشطرة ، ولكن المقصود إنهم قوم كرام .

ويقول الشاعر طالباً من الله العودة :

أنت أيدك طايل
ما لك شريك وعن أفعالك سايل

تأمل التعبير الجيد هنا (أيدك طايل) أنت الذي بيدك كل شيء ، أنت من لا يُسأل عن أفعاله ، أما نحن فكأن أيدينا ليست ملكاً لنا ، لأنها يتحكم فيها موجّه وأمر هو أنت يا الله ، وقد جاء ذلك في صورة كناية .

وفي بيت أخر لنفس الشاعر يقول فيه :

لو كانن لغاوى والخبر متساوى
ما يجيبهم لا عند هالمكان

في الشطرة الاولى من البيت يصور الشاعر إنعدام العدل

إبان الحكومة الفاشيستيه (لو كانن لغاوى والخبر متساوى) ، كيف يتساوى الخبر ؟ يتساوى بأن يكون ميزان القضية في مكانه الصحيح ، بدون تطفيف كفة الحق ، ولو كان ذلك ، ولو كان الايطاليون يؤمنون باللغاوي) (الحديث) والتفاهم ، لما حدث ما حدث ، وأحضر رفاقه الى المنفى ويقول الشاعر (رحومة بن مصطفى) :

النجع اللي فيه لواليب
دوازين ايجيبوا في الراي

(لواليب) جمع لولب ، ويعني بذلك الجزء من المصباح الذي يدخل من خلاله الشريط ، ويتحكم في خفضه ورفعه ، والمقصود هنا أنهم هم أهل الرأي والمشورة . . وشبههم الشاعر بذلك للدلالة على قوة تأثيرهم ، وصواب رأيهم ، ورجاحة عقولهم (دوازين) جمع دوزان ، وهو الرجل المفكر(1) ، وقوة التصوير ، وجماله الواردة في البيت ليست في حاجة إلى إيضاح أكثر .

هذه مقتطفات استدللنا بها ، وعرضنا من خلالها الجمال الفني ، والصياغة البلاغية لبعض القصائد الشعبية ، أما تتبع

---

(1) ديوان الشعر الشعبي / منشورات جامعة قاريونس : كليه الأداب .

المراجع

(1) تفسير الاحلام   تأليف / سيجموند فرويد

(2) تعطير الانام
في تعبير المنام   تأليف / عبد الغني النابلسي

تغريبة بني هلال في بلاد المغرب العربي

(4) ديوان الشعر الشعبي منشورات / كلية الاداب / جامعة قار يونس

(5) تجريدة حبيب   تأليف / صلاح الدين محمد جبريل

(6) قبائل العرب في ليبيا   تأليف / محمد رجب الزائدى

(7) نصوص من الامثال الشعبية تجميع / عبد السلام قادربوه

الموضوعات

سالم العبار
مقالات في التراث الشعبي
المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

الثمن

300 درهم داخل الجماهيرية

500 درهم خارج الجماهيرية

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان